فتحي الله الصفتي
محرج ادار

روائع المسرح العالمي
٦٧

المحراث والنجوم

تأليف : شون أوكيسي
ترجمة : فوزي العنتيل
مراجعة وتقديم : الدكتور عبد الله عبد الحافظ متولي

المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والأنباء والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

مقدمة

قبل أن تتصدى للكلام عن مسرحية « المحراث والنجوم » علينا أن نشير فى ايجاز الى بعض الجوانب الهامة فى حياة أوكيسى وفنه علها تلقى بعض الضوء على أعماله الدرامية عامة ، وعلى مسرحيتنا هذه خاصة .

حياة أوكيسى :

ولد أوكيسى فى ٣٠ مارس سنة ١٨٨٠ فى مدينة دبلن بايرلندا من أم وأب فقيرين ، أنجبا ثلاثة عشر طفلا كان شون أصغرهم . فى السادسة من عمره مات أبوه ، وربته أمه على المذهب البروتستنتى وسط غالبية كاثوليكية . وكان هذا ، الى جانب الفقر والحاجة ، عاملا نفسيا هاما ترك أثره فى الطفل وبذر فيه روح التمرد على الأوضاع فى ذلك الوقت .

وازدادت حالة هذه الأسرة الكبيرة سوءا بعد وفاة عائلها فعاشت فى فقر مدقع فى أحد المساكن الشعبية فى دبلن وكانت هذه البيوت أشبه بمقابر للأحياء لقذارتها والأمراض المتفشية فيها . ولسوء حظه أصيب شون بمرض فى عينيه كاد يؤدى به

الى العمى مما جعله يتجنب الضوء لفترة طويلة مكتفيا بالأركان المظلمة .

ولئن تركت هذه السنين الأولى من حياة شون أثرا بالغا على جسمه وعقله فانها كانت مقدمة لأيام أشد حرمانا ومرارة . فعندما بلغ الخادية عشرة من عمره كانت ايرلندا تمر بحقبة مريرة من تاريخها اذ كانت ترزح تحت عبء حكم بريطانى مستبد فرأى الفتى الزعيم الايرلندى « بارنل » يستشهد نتيجة خيانة مواطنيه من عملاء الانجليز . وشعر شون بالخيبة كما شعر غيره من الايرلنديين الذين كانوا يرون فى « بارنل » منقذا من نير الاستعمار البريطانى .

ولم تمض سنين عديدة حتى جاء الزعيم العمالى جيم لاركن الذى نادى برفع مستوى الطبقة العاملة التى كانت تعيش وقتذاك فى ضنك وبؤس وحرمان . وكان سعى « لاركن » الدائب يتركز فى توحيد صفوف العمال واصلاح حالهم فكون نقابة لهم فى سنة ١٩٠٩ سرعان ما أصبح شون عضوا نشطا فيها . ولقد أهله للانضمام اليها تنقله بين عديد من الأعمال فقد عمل كناسا ، ثم حمالا ، ثم عاملا فى الميناء . ولقد أسهم شون فى تنظيم اضراب العمال فى ١٩١٣ هذا الاضراب الذى تصدت له الكنيسة ودمغته بالابتعاد عن روح الدين مما أدى

الى فشله آخر الأمر . وعلى الرغم من هذا فان الحركة العمالية فى ايرلندا بدأت تتخذ مظهرا قويا ، كما أن تصدى البوليس لتشتيت المتظاهرين دفع بالعمال الى تكوين « جيش المواطن الايرلندى » الذى كان منوطا به حماية العمال المضربين من هراوات رجال الشرطة . ولقد لعب هذا الجيش العمالى دورا فعالا فى تحرير ايرلندا . وكان لنشاط أوكيسى أثر فى تعيينه سكرتيرا لهذا الجيش تحت قيادة لاركن .

ولكن قبل أن ينضم « شون » الى الحركة العمالية اكتشف الفتى الذى لم يذهب الى مدرسة قط بل علم نفسه بنفسه ، اكتشف كاتبين كان لهما أجمل الأثر على فنه وحياته . فعندما بلغ سن العاشرة استهوته الدراما والتمثيل وكادت الفرصة تسنح له بتمثيل دور هنرى الرابع فى مسرحية شيكسبير المسماة بنفس الاسم ، والفضل فى هذا يعود الى أخيه أرشى الذى كان عضوا نشطا فى فرقة تمثيل للهواة . ولقد حفظ شون دور هنرى الرابع وأخذ يلقيه على أفراد عائلته ، ولكن لسوء الحظ ألغيت الحفلة . وظل الاخوان يمثلان مشاهد من المسرحيات معا حتى جاءت الفرصة لشون وهو فى الخامسة عشرة من عمره ليمثل دور الأب رولان فى مسرحية ديون بوسيكولت المسماة « شوجرون » . وكان شيكسبير

وبوسيكولت الكاتبين المفضلين لدى فرقة الهواة للتمثيل فى حى تاونزاند . وان كان الكاتب الايرلندى ديون بوسيكولت يعد من الدرجة الثانية الا أنه كان يتمتع بشعبية كبيرة وقتذاك اذ كتب واقتبس ما يقرب من مائة وخمسين مسرحية ، وكانت أعظم أعماله ما يدور حول وطنه ايرلندا .

والى جانب هذين الكاتبين قرأ شون لديكنز وسكوت وبلزاك وبيرون وشيللى وجولد سمث وشيريدان بمساعدة أخته ايزابللا التى كان لها فضل كبير فى تعليمه وتثقيفه . ولم يقتصر نشاطه فى هذا الميدان على هذا ، بل انه كان يتابع فى شغف واهتمام نشاط ليدى جريجورى وريتنس وادوارد مارتن وغيرهم ممن أسهموا فى خلق نهضة مسرحية قومية ، وأقاموا مسرح الأبى المشهور .

الا أن هذا الجانب الأدبى لم يكن طاغيا على أفكار شون اذ كان لا يزال أكثر التصاقا بحركة لاركن العمالية . وهنا كان الطريق شائكا أمامه ففى نوفمبر ١٩١٣ أى بعد شهر واحد من تكوين جيش المواطن الايرلندى تكون « جيش المتطوعين الايرلنديين » من أفراد من الطبقة المتوسطة جلهم تجار وموظفون . ونظرا لاختلاف تكوين وأهداف هذين الفريقين ، نشأت منافسة حادة بينهما ، وأخذ الجيش الجديد يغرى أفرادا

من جيش المواطن بالانضمام اليه . ولقد قاوم شون هـذا الاتجاه التخريبى وطالب بابعاد سيدة كانت عضوا فى الجيشين فى وقت واحد . وعندما خذلته الأغلبية استقال على الفور .

وسرعان ما بدأ التوازن فى اهتماماته يميل نحو الجانب الأدبى ففى سنة ١٩١٨ بدأ شون يرى كتاباته تأخذ طريقها للنشر ، هذا اذا استثنينا ما نشر له من مقالات فى الصحف العمالية . فظهرت له « أغانى النسر » ، وفى نفس السنة نشر « قصة توماس آسن » أحد شهداء ثورة عيد الفصح ، ثم نشرت له « قصة جيش المواطن الايرلندى » وهى تاريخ لنشأة وتطور الأحداث فى ايرلندا حتى ثورة عيد الفصح فى ١٩١٦ . ولقد تقاضى نظير هذا الكتاب مبلغ خمسة عشر جنيها . ولم يفرح لهذا المبلغ الذى بدا ضخما كبيرا بالنسبة له اذ عاجلت المنية والدته وكانت هذه ضربة قاصمة لمشاعره اذ تفككت أواصر الأسرة فابتعد شون عن أخيه العربيد ميخائيل ، وماتت أخته ايزابللا وأخوه توم ، وهاجر أخوه آرشى الى انجلترا ، وهكذا ترك وحيدا فى سن الأربعين .

وهنا عزم شون على أن ينال الهدف الذى تصـبو اليه نفسه ألا وهو كتابة مسرحية تمثل على مسرح الأبى فى دبلن . ولكن هذا الأمل لم يتحقق الا بعد أربع سنوات من الجهد ،

وثلاث محاولات لم يصبها النجاح لركاكة بنائها المسرحى تمثلت فى مسرحية « زهرة فى الصقيع » و « عيد الحصاد » و « اللون القرمزى ، والعلم المثلث الألوان » . ورغم فشل هذه المسرحيات الا أنها كانت توحى بامكانيات طيبة لهذا الكاتب الذى برز من بين الطبقة العاملة ، وكانت ليدى جريجورى تشجعه كثيرا ، كما أخذت هى ويتس ، تحثانه على تركيز جهوده فى الكتابة عن سكان الأزقة والأحياء الشعبية الذين يعرفهم حق المعرفة .

وهكذا حظى شون وهو فى سن الثالثة والأربعين ، بأول نجاح له كمؤلف مسرحى عندما قدم مسرح الأبى عام ١٩٢٣ مسرحيته « خيال مقاتل » التى بدا فيها أثر ديون بوسيكولت فى المواقف الفكاهية والميلودرامية ، وتأثير شيكسبير والانجيل على أسلوبه ، وتجلت فيها حيوية دفاقة وتوازن رائع بين عناصر الملهاة والمأساة ، كما بدأ تجريب أسلوب مستمد من أحاديث سكان الأحياء الشعبية فى دبلن . لقيت هذه المسرحية نجاحا فى المدة القصيرة التى عرضت فيها على خشبة مسرح الأبى اذ انها استمرت ثلاثة أيام فقط لأن مديرى المسرح كانوا يتهيبون من تقديم مسرحية لكاتب غير معروف لمدة طويلة ولهذا كان نصيب شون أربعة جنيهات فحسب .

وكان على شون أن ينتظر عاما آخر حتى يكسب مبلغا أكبر وذلك عندما عرضت مسرحيته التالية « جونو والطاووس » التى استمر عرضها أسبوعين وكان الناس يتزاحمون فى طوابير طويلة أمام مسرح الأبى أملا فى مشاهدتها ، وقد أعجب بها بيتس وليدى جريجورى أيما اعجاب ، ونال شون منها ٢٥ جنيها كانت كفيلة بأن تدفعه للاستقالة من عمله كعامل للطرق وقتذاك ، وتجعله يكرس حياته للعيش من قلمه .

وبعد كتابة مسرحيتين من ذات الفصل الواحد عرضت فى ١٩٢٦ مسرحيته التى هزت أرجاء ايرلندا ، أعنى بها « المحراث والنجوم » التى استقبلها الجمهور استقبالا صاخبا استدعى تدخل البوليس ، وذلك لأنها عالجت فى تهكم وسخرية موضوعات كان التصدى لها محرما ألا وهى الدين والجنس والوطنية ، ففى هذه المسرحية التى تدور حول أحداث ثورة عيد الفصح ١٩١٦ بدا عطف شون واضحا نحو الضحايا المساكين الذين يعيشون فى الأحياء الشعبية ، وجرؤ على أن يدخل العلم الجمهورى فى حانة من الحانات ، كما صور فتاة ايرلندية كعاهرة . انه لم يقدم للجمهور ايرلندا على أنها « كاثلين فى هوليهن » المملكة الجميلة التى تحمل القيثارة وتتجول فى الروابى الخضر ، انه صور الأحياء الشعبية على

حقيقتها ، بما فيها من قذارة وفقر وحرمان . لهذا ثارت ثائرة جماهير النظارة وملأوا المسرح بالضجيج والعويل والصفير ، كما ألقوا بالكراسى والأحذية على خشبة المسرح ، بل ان بعض المشاهدين صعد وأمسك بتلابيب الممثلين مما أدى الى اسدال الستار واستدعاء البوليس ، وقيام ييتس خطيبا يهدى الجمهور ويعيره فى الوقت نفسه على هذا المسلك الشائن .

وكانت هذه الليلة أشبه بناقوس الخطر الذى جعل شون يعزم على الهجرة من بلده ، كما فعل الكاتب الروائى جيمس جويس من قبل . وزاد من تصميمه أن الأمر لم يقتصر على غضب جمهـور النظارة ، بل تعداه الى الصحف التى نددت بالمسرحية بقسوة وعنف . وعلاوة على هذا ، فان شون كان يشعر بأنه غريب على جو المسرح اذ أنه كان ينظر اليه على أنه العامل الذى برز فجأة من بين الأزقة . وهكذا شد شون الرحال فى صيف ١٩٢٦ حتى يعيش حرا فى حياته ، حرا فى قلمه فسافر الى انجلترا حيث تعرف بشو ، وغيره من الكتاب ، وأخذ يشق طريقه بخلق مجد مسرحى متعدد الأساليب والألوان.

ورغم تركه لبلاده فان شون لا يزال يدين بظهوره كمؤلف مسرحى لمسرح الأبى فوعد بارسال مسرحيته التالية « الكأس الفضية » الى ييتس وليـدى جريجورى . وعندما رفضت

المسرحية ، كان هذا بمثابة آخر علاقة له بهذا المسرح الدبلنى .

ان ترك شون لبلاده لا يعنى كراهيته لها ، بل ان حبه العميق لوطنه كان يكمن وراء ثورته العارمة ضد ما كانت تعانيه من فقر وبؤس وجهل . لقد عاش بعد ذلك غريبا عن بلده لمدة تناهز الثمانية والثلاثين عاما ، باستثناء ثلاث زيارات قصيرة فى أول الأمر . واستقر به المقام فى مدينة توركى فى مقاطعة ديفون فى الجنوب الغربى من انجلترا حتى وافاه الأجل اثر نوبة قلبية وهو فى الرابعة والثمانين من عمره ، فى سبتمبر سنة ١٩٦٤ . مات شون وحب بلاده يجرى فى دمه رغم البعاد ، اذ أنه حب صادق قوى ظاهر للعيان لكل من يقرأ مسرحياته . ولا غرابة فى أنه قال ذات مرة « اننى أعرف قلب ايرلندا لأننى أحد أركانها . اننى أعرف حواس ايرلندا الخمس لأنها جزء لا يتجزأ من كيانى ، فهى تدفعنى للنظر ، وعندما أنظر أرى الكثير ، وتدفعنى للانصات ، وعندما أنصت أسمع الكثير » .

تطور فنه المسرحى :

ان فن أوكيسى يعتمد على مبدأ التزمه فى مسرحياته فهو يضحك القراء ويبكيهم فى آن واحد ، وهو يدفعهم الى التفكير بعمق ، والشعور بعمق بمشاكل مواطنيهم خاصة والانسانية عامة ، ولقد وجد فى معين خبراته العاصفة بين الأزقة والحوارى

الشعبية فى دبلن مادة خصبة لموضوعاته . فالدراما فى رأيه لابد وأن تقص قصة مثيرة لشخوص يكون لصراعهم وأزماتهم بريق وهدف ولهذا فهو يستعين بكل عناصر الفكاهة والاثارة ، فهو يستخدم بعض عناصر الملهاة الصاخبة ، وملهاة النقد الساخر ، والميلودراما ، و « الميوزكهول » . ولابد اذن من مزج عناصر الملهاة بالمأساة لتغوص المسرحية فى مشاكل الانسانية المعذبة فالضحك الذى يثيره غالبا ما يترنح على حافة البكاء .

ففى مسرحياته الثلاث الأولى « خيال مقاتل » (١٩٢٣) و « جونو والطاووس » (١٩٢٥) ، و « المحراث والنجوم » (١٩٢٦) نراه يصور لنا البطولة الزائفة التى يتشدق بها بعض الناس دون تدبر لما قد تجلبه من عذاب ودمار على غيرهم . فهذه المسرحيات الثلاث تندد بالحرب وشرورها كما بدت فى الحرب الأهلية الايرلندية ، « فخيال مقاتل » تدور حول القتال الذى دار رحاه بين الجيش الجمهورى الايرلندى والجيش الانجليزى فى ١٩٢٠ ، و « جونو والطاووس » تدور حول الحرب الأهلية فى ١٩٢٢ . أما « المحراث والنجوم » فتقع حوادثها ابان ثورة عيد الفصح ١٩١٦ . ففى المسرحية الأولى يتورط فى الحرب شاعر حالم ، وفى الثانية تتورط عائلة برمتها ، وفى الثالثة تجرف الحرب كل سكان الأزقة والأحياء الشعبية .

وفى هذه المسرحيات الثلاث تدور الأحداث حول أوهام بطولية ففى « خيال مقاتل » يعتقد جاك داقورين أنه شاعر ملهم ، ويظن جيرانه أنه شاعر ومقاتل . وتبـدو الحقيقة فى النهاية بأنه خيال شاعر وخيال مقاتل . انه لا يعرف كنه ذاته ، وهو ينغمس فى الأوهام التى تؤدى آخر الأمر لموت منى پاول الحبيبة التى كان يرى فيها هيلين طروادة . ان هـذا الموت المفجع هو الذى يجعله يرى حقيقة نفسه وينزل عن أحلامه وأوهامه . ولم يكن يدرك حقيقته سوى المهرج سيوماس الذى يصيح قائلا :

« أتمنى من الله أن تنتهى الحرب . لقد أصاب الناس مس من الجنون » .

وفى مسرحية « جونو والطاووس » تدرك جونو قدسية الحياة أكثر من ادراكها لشعارات جوفاء ، فعندما يتباهى ابنها الذى أصبح كسيحا وفقد ذراعه فى الحرب الأهلية سرعان ما تعبر عن رأيها قائلة :

« آه ، لقد فقدت أحسن مبادئك ، يا بنى ، عندما فقدت ذراعك . انها المبادىء الوحيدة التى لا غنى لعامل عنها » .

ان جونو ترى الحياة فى نطاق خبز على المنضدة ، وجب

فى القلب ، هذه هى الوقائع الوحيدة التى تفهمها وتناضل من أجلها دون التشدق بالبطولات . وعندما تفقد ابنها فى النهاية تصرخ معبرة عن شعور الأم الثكلى فى دعاء حزين .

« يا رب خذ هذا القتل الكريه ، واعطنا حبك الأبدى » .

وفى مسرحية « المحراث والنجوم » يضحى الرجال من أجل مبادىء لا يدركون مدلولها بينما تكد النساء وتشقى من أجل لقمة العيش . ففى الفصل الثانى من هذه المسرحية نرى القومندان كليثيرو ورفيقيه يشربون نخب الحرب بعد سماع خطبة رنانة وهنا يعبر أوكيسى عن شعورهم بعمق عندما يقول فى الارشادات المسرحية « انهم يتكلمون بسرعة كما لو أنهم لا يدركون معنى ما يسمعون . لقد استولى عليهم حماس الخطب » . ورغم قولهم هذا فالأمهات والزوجات لهن رأى مخالف ، انهن يكرهن الحرب وويلاتها وشرورها .

ان هذه النظرة التراجيدية يخفف من حدتها العنصر الكوميدى الذى يتخلل هذه المسرحيات ، فكل شخصية تراجيدية لها ما يقابلها من عالم الكوميديا ، فداقورين فى مسرحية « خيال مقاتل » يقابله المهرج سيوماس ، والطاووس يقابل جونى فى « جونو والطاووس » وبيسى بيرجس « فى المحراث والنجوم » تقف وجها لوجه مع نورا . ويقابل أبطال

هذه المسرحيات كذلك جمع غفير من السكارى ، والمهرجين والجبناء ، والطفوليين ، وشامخى النفوس ، ففى « خيـــال مقاتل » هناك تومى أونز ، مستر ومسز جريجسون ، مستر ماليجان ، وغيرهم ، وفى « جونو والطاووس » هناك جوكسر ، ماس ماديجان ونيدل وآخرون ، وفى المحراث والنجوم ، هناك فلوثر ، وبيثر ، والكوفى ، ومسز جوجان ، وروزى . وسط هذا الجمع الزاخر من الشخصيات الكوميدية لابد وأن تسود الروح الكوميدية وتحفظ المسرحيات والشخوص من أن تستبد بهم روح اليأس والقنوط ، فوسط هذا الجو الضاحك لا مكان لليأس من الحياة .

ومن بين هذه الشخصيات الكوميدية تبرز شخصية ساخرة لا تدرك من حقيقة ذاتها الا ما تراه ملائما لراحتها ، كما نرى فى شخصية المهرج سيوماس فى « خيال مقاتل » ، والكابتن بويل فى « جونو والطاووس » ، وفلوثر جود فى « المحراث والنجوم » . ان هـذه الشخصيات نموذج مصغر لشخصية فولستاف الشهيرة ، فالكابتن بويل يتمتع كفولستاف بروح الفكاهة ، والميل الى الكذب والادعاء ، والرغبة فى النجاة بنفسه ، والانغماس فى الملذات دون حرج أو مبالاة . ومثله مثل فولستاف ، هذه الشخصية الشيكسبيرية الشهيرة ، فى

احتقار شأن الفضيلة والمتمسكين بأهدابها . فالكابتن بويل يترك زوجته تكد وتشقى لتنفق على لوازم البيت بينما ينغمس هو فى ملذاته من شرب ومرح فى رفقة عربيد آخر يدعى جوكسر ، وعندما يطلب منه أن يعمل يئن ويشكو بأن قدمه تؤلمه وأن الناس قساة غلاظ القلب لا يرحمون رجلا مسنا مثله . وهو يتمادى فى ادعاءاته الكاذبة عن أعمال بطولية خارقة قام بها وهو شاب يقطع البحار ويجوب الآفاق وهو لم يقم فى حقيقة الأمر ، الا برحلة فى سفينة فحم من دبلن الى ليفربول !

بعد هذه المسرحيات الثلاث التى تدور حوادثها فى المساكن الشعبية فى دبلن والتى يعدها معظم النقاد أروع ما كتب ، بدأ شون أوكيسى يجرب أساليب مسرحية أخرى ، فكتب « الكأس الفضية » ، التى رفضها مسرح الأبى ١٩٢٨ ، فى أسلوب تعبيرى رمزى . وتدور حوادثها حول أحداث الحرب العالمية الأولى فهى ترتبط من حيث المضمون بالمسرحيات السابقة فى التنديد بالحرب وأهوالها وان تعدى أوكيسى حدود دبلن الى العالم الرحيب .

بعد مسرحية « الكأس الفضية » كتب أوكيسى أربع مسرحيات ترتبط بعضها ببعض فى تصوير أحداث العالم

وقتذاك مبتدئا بالكساد الاقتصادى الذى ساد العالم فى الثلاثينات من هذا القرن ، ومنتهيا بالحرب العالمية الثانية وهى « بين الأبواب » (١٩٣٣) « احمرار النجوم » (١٩٤٠) « ورود حمراء من أجلى » (١٩٤٢) و « أوراق البلوط واللوندة » (١٩٤٦) . انها مسرحيات أخلاقية ترتبط بالكأس الفضية فى أسلوبها الرمزى التعبيرى فالشخوص رمزية تصور معانى وأهدافا فى الحياة ، وكلها تنادى بالحياة الحرة الطليقة وسط عالم تحيطه شتى ضروب الفوضى والدمار .

وان كانت المسرحيات الأربع السالفة تعد مسرحيات أخلاقية فهى فى الوقت نفسه ذات معين فياض من الفكاهة والتسلية . بعدها بدأ أوكاسى يعكس الوضع . فيكتب ملاهى فكاهية وان كانت فى الوقت عينه معينا خصيبا من النزعة الأخلاقية الرمزية فهى ملاه نقدية ساخرة تعبر عن احتفاء ونقد للحياة عن طريق خلق عديد من المواقف الفكاهية بقصد الاشارة الى طريقة مثلى للحياة . ففى المسرحيات الأربع التالية « التراب الأرجوانى » (١٩٤٠) و « الديك » (١٩٤٩) و « نار سمر الأسقف » (١٩٥٥) و « طبول الأب ند » (١٩٥٨) اتجه أوكاسى اتجاها جديدا فان كانت التراجى كوميدى التى جربها فى المسرحيات الأولى تتضمن شخصية تتهكم على البطولة

الجوفاء وتؤكد فى الوقت ذاته ايمانها بالوطن ، فان المسرحيات التى تلت ، تعبيرية رمزية تعبر عن احتجاج أخلاقى على الفوضى التى ضربت أطنابها فى الحياة وقتذاك ، وفى هذه الملاهى الأخيرة استخدم أوكيسى أسلوب السخرية والخيال ليستمر فى احتجاجه بطريقة فكاهية أكثر نضجا وبتجربة تكنيكية أخرى .

وترتبط هذه المسرحيات الأخيرة بعضها ببعض من حيث الموضوع أيضا فهى تصور العالم كما هو كائن وتشير الى ما يجب أن يكون عن طريق مواقف فكاهية متعددة الأساليب مستخدما فيها عناصر من ملهاة الأخطاء ، والملهاة الساخرة ، و « الميوزكهول » والملهاة الخيالية ، والسيرك ، وملهاة النقائص محاولا جمع هذه الأنماط الفكاهية فى وحدة متكاملة كما فعل فى التراب الأرجوانى ، والديك . وتقع حوادث كل هذه المسرحيات فى قرى ايرلندية خيالية ، وان كانت تزخر بطرق وشوارع واقعية . ويربط هذه المسرحيات كذلك معالجة نقائص وعيوب ايرلندية وانجليزية ، وان تعدت بالفعل الى نقائص انسانية عامة ، وتهدف جميع تلك المسرحيات الى السعى الدائم وراء الحرية والسعادة .

وعلى الرغم من هذا التجريب المستمر فى التكنيك فان أوكيسى سعى دائما الى تأكيد معان انسانية أصيلة متهكما

على الأوهام الزائفة ، والتقاليد البالية ، والفقر والحرب وما يجرانه من خراب وويلات ، مناديا على الدوام بحرية الانسان وسعادته والسعى الى تهيئة عالم أفضل تسوده الرفاهية والسلام والرخاء والحب .

مسرحية « المحراث والنجوم » :

تدور حوادث المسرحية أثناء ثورة عيد الفصح عام ١٩١٦ وهى ثورة قام بها الايرلنديون ضد القوات الانجليزية المحتلة ، وكان هناك جيشان يعملان على تنظيم صفوف المقاومة الشعبية . جيش المواطن الايرلندى وجله من العمال ، وجيش المتطوعين ، ومعظمه من الطبقة المتوسطة . ولقد بلغ من شدة المقاومة الشعبية أن اضطر الانجليز الى دك كثير من مبانى دبلن بالمدافع فألهبوا النيران وهدموا مكتب البريد والفنادق وتنتهى المسرحية ودبلن مشتعلة برمتها .

وتحت لواء المقاومة الشعبية ينخرط بطلنا العامل النجار كليثيرو الذى يرتقى فى صفوف جيش المواطن الايرلندى حتى يعين قومندانا ، والكابتن برنان الذى يعمل أصلا جزار فراخ ، والملازم لانجون — لقد استهوت أوهام البطولة هؤلاء الثلاثة فنسوا بيوتهم وعائلاتهم وغامروا بحياتهم متشدقين بألفاظ جوفاء سمعوها من الخطباء فهم نماذج لهذا النفر من الرجال

الذين يتعلقون بأهداب أوهام وهم ليسوا أهلا لها . فها هى تلك نورا تقول لزوجها جاك عندما أصر على الذهاب غير مبال بتوسلاتها :

(متشبثة بكليشيرو ، ومشيرة لبرنان) . انظر يا جاك ، انظر الى الغضب الذى فى وجهه ، انظر الى الخوف الذى يلتمع فى عينيه .. هو نفسه خائف ، خائف ، خائف ! انه يريدك أن تذهب بالطريقة التى يحتمل معها أن يصيبك الموت ويخطئه هو ! .. التفت وانظر اليه يا جاك ، انظر اليه ، انظر اليه ! .. ان أعماق روحه باردة ترتعد من التفكير فيما قد يحدث له .. ان خوفه هو الذى يحاول أن يفزعك ويقف حائلا دون ادراكك الخوف الذى يعتمل فى قلبك أنت ! » .

هم اذن أناس صغار يتصدرون لمواقف أكبر منهم — حتى كليشيرو نرى أوكيسى يصفه منذ البداية على انه « شاب طويل قوى البنية فى الخامسة والعشرين من عمره . ليس فى وجهه شىء من العزم الذى فى وجه نورا ، ان وجهه فيه الرغبة فى السلطة دون القدرة على نيلها » .

هذا الرجل الذى كان يتمنطق سيفه ويرتدى الزى العسكرى فى خيلاء سرعان ما قر فى بيته وهجر جيش المواطن عندما لم يعينوه قائدا . انه لم يهجره لتحوله عن مبادىء الدفاع المقدس ، بل لغرض شخصى صرف . وعندما يحمل برنان اليه

خبر تعيينه قائدا يعود الى صفوف جيش العمال هذا ويدفع زوجته بعيدا عنه عندما تتوسل اليه بالبقاء الى جوارها ، وهنا تصيح الزوجة محذرة « ان غرورك سيصبح دمارا لك ولى من بعـد » .

أما الكابتن بريتان فلا ندرى عنه سوى انه حمل الرسالة لجاك كليثيرو ونراه يلبس حلة عسكرية خضراء وحول وسطه حزام سام براون . هذا الشاب لم يستطع أن ينال حب نورا قبل زواجها من جـاك لأنه على حـد قولها « على شىء من الغباء » . ان بريتان لم يفعل شيئا لانقاذ صديقه وزميله فى الكفاح جاك كليثيرو عندما أصابته رصاصة فى ذراعه ثم فى رئتـه :

« لم أستطع أن أفعل شيئا من أجـله .. سوى مراقبة تنفسه يتردد فى لهثات سريعة مرتجة ، وخيط رفيع من الدم يسيل من فمه على شفته السفلى .. تلوت صلاة الميت ثم طويت مسبحته حول أصابعه ثم اضطررت أن أتركه لأنقذ نفسى » .

عندئذ ترد عليه بيسى بيرجس مؤنبة :

« لقد تركته ! طويت مسبحته حول أصابعه ثم عدوت كالأرنب لتنجو من الخطر ! » .

هذا الرجل لا يهمه الا النجاة بنفسه من الخطر . حتى

عندما أتى ليبلغ نورا نبأ وفاة زوجها وآخر رسالة له ، أخذ يتوسل فى خوف لكى يختبىء فى شقة بيسى بيرجس : « على أن أغتنم الفرصة واستتر هنا ، وأحاول أن أختبىء بعض الوقت » .

فيرد عليه الكوفى بأنه لا يوجد مكان للاختباء فالجنود سيدخلون فى أية لحظة .

أما الملازم لانجون فنراه جريحا يئن ويتوجع ويندم لأنه لم يحاول الهرب :

« لو أننى فقط ظللت راقدا فترة أطول فلربما كنت لم أصب ! ، لقد هرب كل انسان ، ولكننى شعرت بأن بطنى تتمزق الى شطرين .. لم أستطع أن أصرخ ، لم أستطع حتى أن أصرخ .. هل تظن أننى حقا قد جرحت جرحا بالغا ، يا بل ؟ ثيابى تبدو وكأنها مبتلة جدا .. انه دم .. يا الهى ، لابد أنه دمى أنا !!

هذه الشخصيات الثلاث بعيدة كل البعد عن معدن البطولة الأصيلة ، انهم أشباه أبطال يتشدقون ببعض الشعارات التى لا يدركون معناها وتتملكهم حالة من الانفعال العاطفى كلما سمعوا خطبة حماسية رنانة . ان هؤلاء الناس يحاولون الهروب من واقع حياتهم المرير الى التعلق بأوهام لا قبل لهم بها .

ان حياتهم بما فيها من فقر وبؤس تدفعهم دفعا الى التحليق فى آفاق الأحلام ، وعندما يفيقون الى أنهم صغار النفوس تتبدد أوهامهم بعد أن يجلبوا الدمار والخراب لبلدهم وعائلاتهم وبيوتهم .

يحيط بهذه الشخصيات جمع غفير من النماذج الكوميدية التى تثير الضحك الصاخب أحيانا ، والسخرية المرة أحيانا أخرى . فالعم بيتر « رجل ضئيل نحيف له وجه يشبه شكل الماسة ذو لحية خشنة متناثرة لونها أبيض متسخ وأصفر ناصل ، وتكسو وجهه على الدوام كآبة ظاهرة مختلطة بتحد كما لو كان كل انسان فى حالة حرب معه ، وهو فى حالة حرب مع كل انسان » . يبدو العم بيتر لأول وهلة وهو مرتبك عاجز عن لبس قميصه ، ويدعو الله أن يلهمه الصبر على هذه البلوى « يا الهى ألهمنى الصبر مع هذه الياقة ! » وهو فى هذا الارتباك يهرع الى النظر الى صورة امرأة عارية ويضحك ويقهقه من كل قلبه . ومواقفه ومعاركه مع الكوفى تثير الضحك دائما فالأخير يستغل دائما ضعفه فيغمزه ويلمزه سواء بالنظرات ، أو بالاشارات أو الصفير أو الغناء . فها هو الكوفى يغنى من ثقب الباب :

يا قيثار بلدى العزيز ، فى الظلام وجدتك

حلقة السكون القاتمة قد رانت عليك طويلا

فيثور بيتر « يا يسوع ، أتسمع ذلك ! أتسمعه يطلق أغنيته الشيطانية الاستفزازية ! .

هو رجل أبله يتمسح بالدين ليصب لعناته عندما تثار ثائرته وسرعان ما تثار وهو شخص ضعيف لا حول له ولا قوة فهو يخرج لحضور الاجتماعات بحلة فضفاضة كان يلبسها عندما كان عضوا فى احدى الجمعيات الخيرية ، ومعه سيف يلوح به فى الهواء ولا يفعل به شيئا ، انه لعبة أطفال فى يده كما تقول نورا . وهو رجل جبان فعندما تشتد الأزمة يثور فى وجه امرأة استنجدت به لتوصيلها الى مسكنها فى حى راثماينز بدبلن .

ان أوكيسى يستغل نقطة الضعف فيه لتثير الضحك كما نرى عندما تترك مسز جوجان طفلها بين يديه بين سخرية الحاضرين وغمزاتهم وبين صيحاته وصراخه . ثم عندما يخرج الجميع لينالوا حظهم من نهب المحال التجارية يقبع بيتر فى المنزل . انه شخص يغطى عجزه بالصياح والشكوى من الجميع فالكل فى نظره قد تآمر على معاكسته ومشاكسته ولذا فهو يمطر عليهم اللعنات الأبدية . ان العم بيتر نموذج للسلبية الحقة فى كل شىء والعجز حتى عن ربط ياقة قميصه .

أما الكوفى فهو نمط من الأنماط التى استهوتها النظرية

الماركسية ، فهو يحفظ كلمات دون ادراك مدلولها مشتقة من كتاب « بحث فى نشأة ، وتطـور وتدعيم الفكرة التطـورية للبروليتاريا لچينيرسكى . هو اذن نمط لشخصية يسيطر عليها جانب واحد سواء فى تفكيرها أو عملها فهو مثلا لا يرى فى ثورة عيد الفصح شـيئا مفيدا ولا يرى الا حـرية واحـدة جديرة بالكفاح « ليس هناك سوى حرية واحدة بالنسبة للعامل : السيطرة على وسـائل الانتاج ، وسعر العملة ، ووسـائل التوزيع » . وعدا هذا يعد فى نظره عبثا فى عبث ، حتى ان روزى العاهرة أثارت الضحك لموقفه الجامد ومحاولتها اغراءه دون جدوى فقد تملكه أخيرا فزع غريب عندما أخذت تدغدغه وتناغشه . فالاهتمامات العديدة للحياة لا تهمه ، بل تفزعه ، فهو اذن شخصية مقفلة اذا تصدت للحياة وواقعها أثارت فينا الضحك والسخرية . وعلى الرغم أن هنـاك اهتماما واحدا يسيطر على تفكيره . الا أن هذا يعد جانبا ايجابيا فى شخصيته يرفعه عن مستوى العم بيتر ويجعله ينتصر عليه دائما .

أما فلوثر جود فهو شخصية كوميدية ساخرة تتردد كثيرا فى مسرحيات أوكيسى ولا تدرك من حقيقة نفسها الا ما يتمشى مع هواها ، هو أشبه بنموذج مصغر لشخصية فولستاف ، وهو قريب الشبه بالكابتن بويل فى « جونو والطاووس »

فهو سكير عربيد يميل الى الادعاء والمغالاة فهو يتصدى للكوفى مدافعا عن روزى :

« اذهب يا رجل ، بوسعى أن أضرب اثنين مثلك قبل افطارى » وكثيرا ما يتصدى لمواقف لا قبل له بها فهو يتهم الكوفى بالجهل ، وعندما يسأله الأخير عن الحركة العمالية وغيرها يغطى جهله بالصياح والشجار .

ورغم هذا فهو شجاع مقدام شهم عندما يجد الخطب فهو الذى يهرع وسط النيران ليعيد نورا الى بيتها ، وهو الذى يقف مدافعا عن العاهرة روزى عندما أهانها الكوفى ، وهو الذى يخاطر وسط أزيز طلقات الرصاص وقصف المدافع ليعد الترتيبات لدفن مولسر ، ولذا فان مسز جوجان تثنى عليه قائلة :

« لن أنسى أبدا ما فعلته من أجلى يا فلوثر بتجولك مخاطرا فى ذلك بحياتك لتسوية كل شىء مع الحانوتى والمشرفين على المدافن .. وبينما كان أهلى يخافون أن يخرجوا أنوفهم جازفت أيها الرجل الطيب ، خلال أزيز الرصاص وهم يطلقون النار على الطريق .. وسوف تجد أن مولسر ، فى المكان البعيد الذى ذهبت اليه ، لن تنسى أن تهمس ، بين الحين والآخر باسم

فلوثر » . وكذلك تشيد بشهامته نورا وتدعوه رجلا يحق لما فعله من أجلها .

ان فلوثر خليط من المتناقضات فهو بين النساء فارس مقدام ، وبين الرجال مدع دائم الصياح والشجار والسكر ، الا أن صياحه كثيرا ما ينتهى الى لا شيء فهو يبدأ مناقشات لا قبل له بها ، ويقسم أنه لن يشرب الخمر أبدا ثم تراه مخمورا يصيح بأعلى صوته « يحيا المتمردون » ، لتهو المدينة كلها الى الجحيم من أجل فلوثر » ، ثم انه يدافع عن كرامة عاهرة ثم تراه يذهب لقضاء الليلة معها .. ولما له من نقائص وفضائل تراه يثير الضحك والسخرية ويقف متهكما على المتشدقين بالبطولة فهو وقت الحرب له من الفصاحة ما يبعده عن خطرها ، كما أن له من الواقعية ما يبعده عن المثالية الوردية .

وراء هذه الشخصيات التراجيدية والكوميدية نرى النساء فى هذه المسرحية يمثلن النظرة الواقعية فى الحياة فهن فى شغل عن الأوهام بالسعى وراء تدبير أمور حياتهن . انهن ايرلندا الحقة بفقرها وجهلها ومرضها ، وبالثورة التى كن يصطلين بنارها . ورغم أن حياتهن أقرب الى الموت ، الا أنهن يتمسكن بأهدابها ويحافظن على أشلائها . فمع قسوة حياتهن فى هذه الأحياء الشعبية لا يقدمن الصورة المثالية التى كان ينادى بها

بعض الشعراء ، ألا وهو صورة ايرلندا الأميرة الجميلة التى تحمل قيثارتها وتتجول فى الروابى الخضر . والنساء فى هذه المسرحية ، وسابقتيها ، واقعيات بالضرورة لا هم لهن الا لقمة العيش ، ولهذا فهن على نقيض تام من الرجال الذين يعيشون فى عالم الأحـلام والأوهام ولهذا فالصراع بين الواقع الحى والمثالية الوردية هو صلب المأساة التى تتخلل ثنايا المسرحية .

فنورا كليثيرو مثلا فتاة جميلة فاتنة تحاول أن تجعل شقتها الفقيرة عشا سعيدا لحياتها الزوجية فهى تحب زوجها وتتفانى فى خدمته ولا تود شيئا فى الحياة سوى قربه ، وكما تقول مسز جوجان « لقد تعودا أن يكونا مثل يمامتين ، دائما فى تقبيـل وغزل » ، فلا غرابة اذن أنها تكره انصراف زوجها عنها الى جيش المواطن الايرلندى . ونورا تدرك زوجها حق قدره ، فعندما أخبرها أنه ترك جيش المواطن الايرلندى ارضاء لها تقول : « لقد تركته لأنك غاضب عندما لم يجعلوك قائدا ، ولم يكن هذا من أجل خاطرى ، يا جاك . وعندما يدق الباب ويدخل برنان حاملا رسالة لزوجها يستبد بها الخوف وتتوسل اليه ألا يخرج ويجلب الدمار لها ولنفسه . ولكن جاك يعلم أنه قد رقى الى رتبة قومندان فيستولى عليه الحماس ويتمنطق من جديد حزام سام براون ويخرج دون مبالاة بتوسلاتها .

ويجن جنون نورا عندما يتغيب زوجها وهى التى لا تطيق البعد عنه ، فيمتلىء قلبها بالهواجس وتخرج للبحث عنه خلف المتاريس ووسط طلقات الرصاص وعندما تعود بعد أن استبد بها اليأس وتحت الحاح فلوثر تقول لمسز جوجان :

« لم أستطع أن أجده فى أى مكان ، يا مسز جوجان ، لقد قالوا لى اننى ألحقت العار بزوجى وبنساء ايرلندا باستمرارى فى البحث عنه — قالوا ان النساء يجب أن يتعلمن الشجاعة والكف عن الجبن .. أنا الذى خاطرت فى سبيل الحب أكثر مما يخاطرون من أجل الكراهية — (ترفع صوتها فى احتجاج متشنج) ان حبيبى جاك سوف يقتل ، حبيبى جاك سوف يقتل!! لسوف يذبح كتضحية من أجل الموتى ! » .

ولما عاد جاك الى البيت برفقة برنان ولانجون تعلقت بأهدابه وهى حامل متوسلة اليه :

« كلا ، لن أدعك تذهب ، أريدك أن تكون مخلصا لى ، يا جاك ، أنا أعز رفيق لك ، أنا أخلص رفاقك .. انهم فقط يريدون العزاء فى أن يلقوا بك فى نفس الحظ مثلهم ..

ولم يجد جاك كليثيرو مفرا وسط غمزات رفيقيه من أن يدفعها بشدة بعيدا عنه فتذهب الصدمة بطفلها الذى لم يكتمل بعد ، وبضوابها فتهذى كالمجنونة . وحتى فى هذيانها لا تتحدث

الا عن حبيب فؤادها جاك فتتخيل أنها تعد العـدة للخروج معه ، أو أنها تعد له الشاى ، وتردد الألحان التى كان يغنيها لها . وعندما يأتى خبر مقتله تكون قد فقدت الوعى تماما .

ان نورا فتاة تتمسك بالحياة فى كنف زوجها ، وتكافح معه فى سبيل العيش وفى سبيل بناء عش الزوجة السعيد ، فهى ضحية أوهام زوجها وأثر من آثار الدمار الذى أنشب أنيابه فى دبلن وقتذاك .

والشخصية النسائية التالية هى بيسى بيرجس وهى امرأة عاطفية سليطة اللسان لاذعة فى نقدها وتهكمها الا أنها واقعية فى نظرتها الى ما يجرى حولها من أحداث . هى بائعة فاكهة متجولة تكد فى سبيل لقمة العيش وتدرك معنى الفقر والحرمان فتسليتها الوحيدة هى الغناء بالترانيم الدينية والسكر فى بعض الليالى لتحاول أن تنسى ما هى فيه من هم وبؤس فابنها يقاتل فى بلجيكا مع القوات الانجليزية ، ولهذا تكره الحرب كراهية ممقيتة :

« ان عاصفة من الغضب تضطرم فى قلبى ، عندما أفكر فى الجنود الانجليز المساكين ، ومعهم وحيدى .. مبتلين بالمياه وغارقين فى الدماء يتحسسون طريقهم الى موت مدمر ، تحت وابل من القذائف ! شباب متوهج فيهم رغبة الحياة المشرقة ،

وقد أضجعوا أجسادهم البيضاء الممزقة فى شرائح داميـة ومهلهلة ، عـلى المذبح الذى شيده الله نفسه ليضحى عليه الأبطال » .

وهى بهذا تتهكم على الكابتن برنان وكليثيرو ولانجون :

« ان الصبية المغنين لا يشعرون براحة شديدة الآن . لقد أطارت المدافع كل القيثارات من أيديهم . ان الجنرال كليثيرو يفضل أن يفك مشد زوجته بدلا من الوقوف عند المتاريس .. والأستاذ فى ذبح الفراخ هناك يجد أنه يقف ضد شىء أشد خشونة من فراخه . وعندما يصيح برنان فيها بأن تسكت تقول له « اخنق الفرخة ، اخنق الفرخة » .

ومع كراهيتها للحـرب وشرورها ، فلا ننسى أنها أكثر شجاعة واقداما من كثير من الرجال فهى التى تغامر وسط النيران لتذهب لاحضار طبيب لمولسر التى اشتد بها المرض ، وهى التى كانت دائما تعطيها اللبن والكلمة الحلوة الحنون .

وعندما تدك البارجة الانجليزية « هلجا » المدينة وتنشر الفوضى تجرى بيسى وسط النيران لتحمل بعض الأشـياء المنهوبة من المحال التجارية من قبعات وحلوى ومظلات وأحذية — أشياء جميلة حرمت منها طول عمرها . هذا المنظر أثار كثيرا من النقد فى الصحف الايرلندية ، وان كان لا يخفى

الحقيقة بأن الحرمان من ضروريات الحياة كان الدافع وراء عملها هذا الذى لم تشذ فيه عن بقية سكان الأحياء الشعبية فى دبلن ، فسرعان ما تبعها الكوفى ، وفلوثر ، ومسز جوجان وغيرهم .

وتمثل مشاجرتها فى الحانة مع مسز جوجان جارتها اللدود ، ومشاجرتها معها على عربة أطفال لتذهب بها لتحمل بعض النفائس المنهوبة تهكما ساخرا على القتال الذى كان يدور فى المدينة حينذاك ، فالمرأتان لا يهمهما ما يجرى خارج الديار من دمار وخراب . انهما يعيشان فى عالمهما الواقعى — عالم البيت الفقير — .

وتتطور شخصية بيسى بيرجس فى نهاية المسرحية فالكل لا يجد ملجأ الا فى شقتها فوق السطوح ، وهى التى تتولى رعاية نورا بعد الصدمة التى أفقدتها وعيها فتغنى لها حتى تهدأ ، وتتولى أمرها ، بل انها تفقد حياتها وهى تدفع نورا بعيدا عن النافذة خوفا عليها فتصاب اصابة قاتلة وتغنى فى ضعف حتى تلفظ أنفاسها الأخيرة .

ان بيسى بيرجس بطلة نسائية حقة ، واقعية ، مكافحة ، شجاعة ، شهمة ، فرغم سلاطة لسانها فانها طيبة القلب تهرع

لنجدة جيرانها ، رغم ما بينها وبينهم من عداء لتخفف من آلامهم ، وأحزانهم .

أما مسز جوجان فهى خادمة متجولة تعمل لكسب قوتها طول النهار وجانبا من الليل وكانت قلة رعايتها لابنتها المسلولة سببا فى التعجيل بوفاتها . وهى امرأة مكتئبة الوجه ، شاحبة البشرة ، قلقة ، عصبية ، ثرثارة جدا ، ومحبة للاستطلاع فلا تستطيع ذبابة أن تدخل المنزل أو تخرج منه دون علمها ، وهى لهذا عليمة بتفصيل كل ما يحدث حواليها وتعلق عليه . فهى تعرف دقائق حياة نورا مع زوجها ، ونراها تعلق على شخصية العم بيتر تعليقا ينفذ الى الأعماق :

« أليس بيتر انسانا مضحكا ؟

انه يشبه شيئا ، انتزعته من شجرة عيد الميلاد ..

عندما يرتدى ملابسه الكهنوتية ، فانك تعجب من أين جاء .

عفوك ، يا ربى » .

ان هذه الرغبة فى معرفة كل شىء والتعليق عليه أثارت حفيظة « بيسى بيرجس » عليها التى اتهمتها بالتجسس والتدخل فى شئون الغير ، الا أن هذا هو مصدر التسلية الوحيد فى حياتها .

وشىء آخر يسيطر على ذهنها نتيجة للأحداث التى مرت

بها ألا وهو التفكير فى المرض والموت . لقد مات زوجها بمرض السل ، وترك ابنته مسلولة كذلك ، فمسز جوجان تتسلط عليها عقلية مريضة تتوهم دائما المرض والجراح والموت . حتى فلوثر جود الذى لم يكن يعانى من شىء سوى نوبة برد بسيطة أفزعته بأوهامها وأخذت تذكره بأنها كانت تعرف امرأة قوية صحيحة البدن « تظن حين تنظر اليها أنها تستطيع أن تمد ذراعيها وترفع بيتا من طابقين على رأسها ، أصابتها حساسية فى حلقها لسعال خفيف ، وفى الصباح التالى أصابتها حشرجة بسيطة فى صدرها ، وقد أدركوها بصعوبة لكى يبللوا شفتيها بقليل من شراب الرم ، ثم انتهت » . وهى لا ترى فى زى فرقة الفورسترز الا ريشة النعام وهى تهتز وتروح وتجىء مما يجعلها تقول « يخيل الى أنى أنظر الى كل منكم معلقا فى طرف حبل ، عيونكم منتفخة وسيقانكم تتثنى وترتج لاهثى الأنفاس ، وأنتم تحاولون الموت فى سبيل ايرلندا ! . وعندما خرجت نورا للبحث عن زوجها تخيلتها مسز جوجان ملقاة على ظهرها فى احدى المستشفيات تتوجع من آلام رصاصة أصابتها فى مكان حساس والراهبات يحاولن حملها على القاء نظرة أخيرة على الصليب » .

وتبين مشاجرتها مع بيسى أنها ، رغم فقرها ، والظروف القاسية التى تعيش فيها ، لا تحتمل أية اهانة فى شرفها ،

فها هى تهب مدافعة عن نفسها ضد اتهامات بيسى وهى فى ثورة عارمة من الغضب :

« أيتها الأفاكة الخبيثة المتبجحة ، ان خاتم زواجى قد استحققته عن جدارة بقضاء عشرين عاما الى جانب زوجى ، الذى يستريح الآن فى السماء .. » .

وهى رغم هذا تقدر كل من يعطف عليها وعلى ابنتها مولسر فهى تثنى على شهامة فلوثر ، وتمتدح جارتها لحنانها على ابنتها المريضة ، وعندما تشتد الأزمة تكف عن شجارها مع بيسى ، وتدفعان العربة معا لجلب بعض الأشياء المسلوبة من المحلات التجارية ، وهى التى تأخذ نورا الى سرير مولسر بعد موت بيسى بيرجس . ان الشقاء جعلها صلبة العود قوية الاحتمال ، وعندما تنزل الستار فى ختام المسرحية ندرك ادراكا قويا أنها ستتكفل بأمر نورا وترعاها ، فلقد تعودت طول حياتها رعاية المرضى .

* * *

أما عن أسلوب المسرحية فهو نموذج لأسلوب أوكيسى الذى احتذى حذو الكاتب الايرلندى « سنج » فى اختيار لهجة شعبية أساسا لحوار مسرحياته فاذا كان سنج اختار لنفسه لهجة فلاحى جزائر آران ، فان أوكيسى اعتمد على لهجة حديث سكان الأحياء الشعبية فى دبلن ، وان كان سنج

قد غرس أسلوبه فى أعماق الطبيعية وما توحى به من تفاعل مع الشخوص ، فالطبيعة لا تجد مكانا مرموقا فى مسرحيات أوكيسى اذ أن أسلوبه تطوير لأحاديث الناس فى حى من أحياء مدينة دبلن . فشاعرية أوكيسى ، اذن ، تكمن فيما تصوره من تصارع العواطف والأفكار لدى هؤلاء الناس الذين يشقون ويكدون لكسب قوتهم وسط الأخطار المحدقة بهم . وهذه الشخوص البسيطة تعبر تعبيرا تلقائيا عن تفاعلها ضد الفقر والاضطراب الذى يسود حياتهم ، ولأنهم يشعرون بالخيبة وبالحرمان من ضروريات الحياة فانهم يعوضون عن ذلك بما يجدونه من متعة فى المبالغة فى الحديث . ان متعة الحديث هذه هى المتنفس الوحيد لحرمانهم فنجدهم لهذا ينغمسون فى الخيال السليم أحيانا ، والمريض أحيانا أخرى . وسواء أكانوا يحتجون على بعضهم البعض أو على العالم أجمع فان شخوص أوكيسى تجد عبارات وكلمات حية رنانة تعبر عن عواطفهم . حتى ذلك الأبله العم بيتر الذى يعاكسه ويشاكسه الكوفى على الدوام ، يصيح معلنا « طالما أنا رجل حى مسئول عن أفكارى وكلماتى ، وأعمالى أمام الكائن الأعلى ، فسأشعر بأنى ملزم بأن أحارب ضد الأساليب المنحدرة لزوج من الأفاقين ، يتهامسان ، ويتلاقيان ويدبران ويكيدان معا ليجعلانى أفقد احساسى بالحياة التى أحاول أن أحياها .

ولقد حاول أوكيسى ، كما حاول سنج من قبل ، أن يعمق من اللهجة الشعبية التى اختارها لمسرحياته ، ويوسع أبعادها فهى ليست اذن تسجيلا واقعيا للهجة سكان الأحياء الشعبية ، كما أنه استغل الرغبة الجامحة لدى الايرلنديين عامة وسكان الأحياء الشعبية خاصة الى المبالغة فى الحديث وتأكيد أقوالهم بالصور الشعرية ، والتورية ، والتكرار ، وكثرة السباب والاطناب ، واللعب بالألفاظ لدرجة جعلت الناقد دافيد كراوس يرجح وجود علاقة قوية بين حديث الانجليز فى عصر الملك الياصبات الأولى ، وبين حديث سكان دبلن المعاصرين . وأثرت على أسلوبه أيضا اللغة الغالية Gaelic التى تمكن منها أوكيسى كتابة وحديثا ويبدو أثرها ظاهرا فى بعض التركيبات اللغوية والكلمات . وأثر آخر بدا فى أسلوبه بوضوح ألا وهو الانجيل فطالما سمع قصصا مستمدة من الانجيل من أمه وهو صغير ، كما أنه درسه بعناية . وترى فى مسرحية « المحراث والنجوم » . بيسى بيرجس تردد كثيرا بعض الترانيم الدينية والمزامير .

وتزخر هذه المسرحية بأمثلة عديدة لتعميق الحوار الشعبى وتوسيع أبعاده حتى لا يكون تسجيلا حرفيا فيعمد أوكيسى الى حشد الصور اللفظية وتكبير العبارات ، وتعميق الايقاع

بشكل يتمشى مع شخوصه المتدفقة حماسا . ففى الفصل الثانى يدخل فلوثر وبيتر بعد أن أخذتهما نشوة الحماس بعد سماع خطبة رنانة :

بيتر : ان اجتماعا كهذا يجعلنى دائما أحس كما لو كنت أستطيع أن أعب بحيرة ايرن حتى أفرغها !

فلوثر : لا يمكنك أن تشعر بشىء غير ذلك فى وقت كهذا تنبض فيه روح الانسان محاولة أن تنطلق فى سبيل الحق وقدماه ترتعدان على الطريق المؤدى ربما الى المقصلة ، وفى أذنيه يطن الصوت الخابى البعيد لطلقات البنادق التى قد تودى بآخر رمق من الحياة لم يزل يختلج فى جسده !

بيتر : لقد شعرت بغصة تلتهب فى حلقى عندما سمعت الفرقة تعزف أغنية « الجنود » متذكرا آخر مرة سمعتها فيها ونحن نسير فى التشكيل العسكرى ، والناس على الجانبين يتحدثون عنا ونحن نحمل معنا كبرياء دبلن واصرارها الى قبر وولف تون .

فلوثر : ورغم أننى كنت محشورا فى ذلك الجمع فقد كنت أصغى الى الخطب التى تنهمر فوق رءوس الناس كما ينهمر المطر فوق الغلة ، وخلا ذهنى من كل الأفكار المشينة وقلت لنفسى : تستطيع أن تموت الآن يا فلوثر ، فقد رأيت أطياف أحلام الماضى تثب الى الحياة فى أجساد رجال أحياء يثبتون أننا اذا كنا بدون ذرة من الشجاعة ، فقد أصبحنا على عكس ذلك الآن ! .

انظر هنا (يمد ذراعه أمام وجه بيتر ويشمر كمه) كان الدم يغلى فى عروقى ! » .

وكثيرا ما يستخدم أوكيسى هذا الأسلوب للسخرية من الخطب البطولية الجوفاء ، ومثل حى لهذا نجده فى الحوار العنيف الذى دار بين بيسى بيرجس ومستر جوجان عندما تشاجرتا فى الحانة ، وفى البيت ؛ وفى مشاكسات الكوفى مع بيتر .

ولقد تأثر أسلوب أوكيسى أيضا بالفكاهة التقليدية التى تزخر بها « الميوزكهول » ومسرحيات ديون بوسيكولت ، والتى كانت مظهرا مألوفا فى الخمارات الشعبية حيث كان يظهر فيها

مغنى مهرج للترفيه على الرواد . وهذا الغناء عنصر هام فى مسرحيات أوكيسى جميعها اذ أنه يضفى عليها جوا شاعريا ؛ كما أنه يصور انفعالات الشخوص . ففى هذه المسرحية يغنى جاك كليثيرو لزوجته نورا أغنية طالما غناها فى شهر العسل وتصور غرامهما العنيف :

أزهار البنفسج كانت تعطر الغابة يا نورا
معلنة عن سحرها للنحلة
عندما قلت أول مرة أنا أحبك وحدك يا نورا
وقلت أنت انك تحبيننى أنا وحدى !

وقبل ذلك فى نفس الفصل نرى أغنية تمتلىء غمزا ولمزا وسخرية من العم بيتر يغنيها الكوفى غريمه اللدود ، وهو متجه بنظراته اليه :

أوه ، أين ذلك العبد الحقير
مقضيا عليه بقيود مهينة
الذى ان استطاع أن يحطم قيوده
فسوف يذوى تحتها ببطء !
قد وطئنا الأرض التى — حملتنا .
الأصدقاء الذين خبرناهم فى جانبنا .
والعدو الذى نمقته — أمامنا !

فالأغنية تعبر عن شخصية الكوفى اللئيم ، وشخصية العم بيتر الهزيلة التى سرعان ما تثار لأقل لمزة أو غمزة وبهذا تكون موضع الضحك والسخرية .

وعندما تغنى العاهرة روزى ، وهى تلف ذراعها حول فلوثر . فهذا تصوير لجانب من جوانب مهنتها . ويغنى فلوثر عندما يعود مخمورا ، وتفعل الأغنية فعل السحر فى تهدئة نورا عندما أفقدتها الصدمة وعيها فها هى بيسى بيرجس تحاول أن تعيدها الى فراشها :

بيسى : أدخلى وارقدى ، وسأغنى لك .

نورا : (بحدة) غنى لى ، غنى لى ، غنى لى !

بيسى : (تغنى وهى تقود نورا الى داخل الحجرة) :

أرشدنى أيها النور العطوف ، وسط الظلمة المكتنفة

قدنى فى طريقى

الليل ظلام ، وأنا بعيدة عن بيتى

قدنى فى طريقى

ثبت خطاى ،

لا أطلب أن أرى المشهد البعيد — خطوة واحدة فحسب

ما دمت قد باركتنى ، فلا شك أنك تقودنى فى طريقى .

ان هذه الأغنية أشبه بمناجاة بأن يزيل الله الغمة ويبدد الظلمة التى تفشت فى عقل نورا وفى مدينة دبلن بأسرها ، فهى أغنية حزينة تصور تصويرا مؤثرا حالة نورا وحالة دبلن وقتذاك .. تردد نورا وهى فى هذه الحالة المفجعة الأغانى التى كان زوجها يغنيها لها فى شهر العسل .

والجنود يختمون هذه المجموعة من الأغانى بتعبيرهم عن الحنين الى الوطن والرغبة الجامحة للعودة :

أبقوا مدافىء البيوت مشتعلة

بينما قلوبكم تهفو

ولو أن فتيانكم بعيدون

فانهم يحلمون بالوطن ..

وعلاوة على تصوير هذه الأغانى لانفعالات الشخوص ، واضافتها جوا شاعريا للمسرحية ، فهى تكون جانبا هاما فى حياة سكان الأحياء الشعبية فى دبلن . وهكذا نرى أنه على الرغم من أن أوكيسى قد تأثر « بالميوزكهول » والأغانى الشعبية فى الحانات الا أنه طور هذا العنصر ووظفه توظيفا فعالا فى

مسرحياته فهو جزء لا يتجزأ من شخوص وأحداث المسرحية وليست زخرفا سطحيا يمكن ازالته دون الحاق ضرر بالغ بالمسرحية برمتها .

وعند الكلام عن أسلوب أوكيسى يجدر بنا الاشارة الى ملاحظة تجلت لا فى هذه المسرحية فحسب بل فى كل أعماله ، أعنى بها الافاضة فى وصف الارشادات المسرحية لكل فصل . وقد يكون أوكيسى قد تأثر بشو فى هذا الصدد ، ولقد انتقد بعض النقاد هذه التفاصيل الدقيقة لوصف المشاهد بدعوى أنها تنتمى لفن الرواية وأنها تلقى قيودا ثقيلة على المخرج والممثل والقارىء وتحد من تصورهم وخيالهم . ولم يقتنع أوكيسى ، كشو ، بهذا المنطق مؤكدا أن الكاتب العبقرى يفرض لوازمه الفنية حتى يحقق أهدافه ولن تتحقق هذه بأية حال الا اذا أعان غيره على تفهم المسرحية بهذه الارشادات المسرحية الطويلة ، ولقد اكتفى أوكيسى بهذا دون أن يلجأ الى كتابة مقدمات طويلة لمسرحياته كما فعل شو .

* * *

ان مسرحية « المحراث والنجوم » تمثل تقدما كبيرا فى فن أوكيسى اذا ما قورنت بمسرحيتيه السابقتين « خيال مقاتل » و « جونو والطاووس » فالتفاعل بين شخوصها أكثر

عمقا وفاعلية فنراهم فى حالات متعددة من الانفعالات النفسية ، ولهذا بدوا أكثر وضـــوحا وسط المشاهد العامة التى تدور حولها الأحداث . حقا ، ان كثيرا منهم لا يعدو كونهم مجـــرد أنماط كالكوفى وبيتر وبرنان ولانجون ، لكن علينا ألا ننسى ما أصابه أوكيسى من توفيق فى تحليل شخصية بيسى بيرجس ، ونورا وجـــاك كليثيرو وفلوثر جود حتى قدم لنا صـــــورا حية لهم .

وهذا التقدم الملحوظ نلمسه كذلك فى زيادة تمكنه من تكنيك « التراجيد كوميدى » فاتسمت المسرحية بانســـجام رائع بين عنصرى الكوميديا والتراجيديا وحققت هدف أوكيسى فى اثارة الضحك الممزوج بالأسى . اننـــا نضحك حتى لا نيأس من الحياة وسط الظلمة التى تكتنفنا . اننا نضحك من فلوثر جود ؛ والعم بيتر والكوفى وبيسى بيرجس ومسز جوجان لكنا نعطف عليهم ونفكر فى مصيرهم ، ونتمنى أن يرتفع مستوى معيشتهم لكى ينعموا بالرخاء والاستقرار .

كما أن التسلسل التكنيكى والالتحام العضوى لفصول المسرحية غاية فى الروعة والاتقان . فالفصل الأول يقدم لنـــا صورة تنبض بالحياة لسكان الأحياء الشعبية فى دبلن وما هم فيه من حرمان وبؤس فهو مقدمة جميلة للأحداث التى تلت .

أما الفصل الثانى فنرى فيه صورتين متداخلتين فبعض رواد المساكن الشعبية يعبون البيرة فى الحانة لينسوا أحزانهم بينما خيال الخطيب يظهر من النافذة وهو يلهب الجمع المحتشد ويثير حماسته بعبارات طنانة تدوى من خلال مكبر الصوت ، وهنا نرى التباين الواضح بين عالم الخطب الرنانة وما تثيره من أوهام البطولة ، وبين واقع هؤلاء الرواد الفقراء . وتبدو المشاجرات التى حدثت داخل الحانة تهكما ساخرا على ما يحدث خارجها — أما فى الفصل الثالث فنرى البيوت تتداعى على أثر قصف البارجة هلجا للمدينة بأسرها ، ونرى ما يحدث من هرج ومرج ، ومن هرولة السكان الفقراء وسط هذه النيران لنهب المحال التجارية لأخذ بعض النفائس التى حرموا منها طول حياتهم . وهذه صورة ثنائية مثيرة تعكس التباين بين عالمين ، عالم الحرمان وعالم الخراب والقتل . أما الفصل الرابع والأخير فهو مناجاة حزينة أشبه بصلاة جنائزية بأن يرحم الله الموتى ويزيل الغمة . انه ترنيمة مؤسية للمدينة المحترقة والناس الذين يخرون قتلى تحت الأطلال المتساقطة ؛ والضحايا المساكين الذين تدمرت سعادتهم وبيوتهم .

وهذا التوازن التكنيكى يكمن أيضا وراء الانسجام بين

الأفكار والمشاعر التى تثير فينا المشاعر العنيفة التى تدفعنا الى التفكير فى مصير ايرلندا ، ودبلن والعمال . وعن طريق هذه الاشارة يدفعنا أوكيسى الى تصور حالة أفضل لبلاده ، فلا منجاة من هذا الشقاء اذن الا بالدعوة الى تدبر الواقع الحى حتى نصلحه ، فبدون هذا لن تتوافر أى سعادة وتقدم لايرلندا وبنيها .

د . عبد الله عبد الحافظ

الى ضحكة أمى البهيجة

وهى على باب القبر

شخصيات المسرحية

سكان فى المساكن الشعبية

جاك كليثيرو	(بنـاء) قومندان فى جيش المواطن الايرلندى .
نورا كليثيرو	زوجته
بيتر فلين	عامـل عم نورا
الكوفى الشاب	سبـاك ابن عم كليثيرو
بيسى بيرجس	(بائعة فاكهة متجـولة)
مسز جوجان	(خادمة جـوالة)
مولسر	(طفلتها المصدورة)
فلوثر جـود	(نجـــار)
الملازم لانجـون	(موظف) من جيش المتطوعين الايرلنديين
الكابتن برينان	(جزار دجاج) من جيش المواطن الايرلندى
العريف ستودارت	جندى انجليزى من فرقة ولتشاير
الجاويش تنلى	جندى انجليزى من فرقة ولتشاير
روزى ريد موند	من بنات الهـوى
عامـل بـار	
امـرأة	
الخيال الذى فى النافذة	

الفصـــل الاول حجرة الجلوس فى شقة كليشيرو بأحد مساكن دبلن الشعبية .

الفصـــل الثانى حانـــة . فى خارجها اجتمـــاع منعقد .

الفصـــل الثالث الشارع الذى به بيت كليشيرو .

الفصـــل الرابع غرفة بيسى بيرجس .

الزمـــان الفصل الاول والثانى ــ نوفمبر سنة ١٩١٥
الفصل الثالث والرابع ــ أسبوع الفصح سنة ١٩١٦

تنقضى بضعة أيام بين الفصلين الثالث والرابع

الفصل الأول

مسكن عائلة كليثيرو ، ويتكون من حجرتين للاستقبال احداهما أمامية والأخرى خلفية فى منزل بديع قديم من الطراز الجورجى .. يجاهد للبقاء ضد هجمات الزمن ، وضد ما هو أشد وطأة من ذلك وهم السكان .

الحجرة التى تظهر هى حجرة الاستقبال الخلفية ، وهى حجرة واسعة ، فسيحة ومرتفعة ، ويقع فى الخلف المدخل الى حجرة الاستقبال الأمامية .

والمكان الذى كان يشغله فى الأصل باب ذو مصراعين تغطيه الآن ستارتان لونهما أرجوانى داكن تزينهما رسوم أرجوانية فاقعة وصفراء فاتحة .

وقد جذبت احدى الستارتين جانبا لتظهر جزءا صغيرا من الغرفة الأمامية التى فى نهايتها يمكن رؤية النوافذ المرتفعة التى تطل على الشارع .

وقد أثثت الغرفة التى تواجه النظارة على نحو يوحى بمحاولة اعطاء صورة بديعة عن الحياة المنزلية .

وعلى اليمين توجد المدفأة الكبيرة وهى من الخشب ، وقد طليت لتبدو وكأنها من الرخام . (اما المدفأة الأصلية فقد انتزعها صاحب المنزل) ــ على حافة المدفأة مسرجتان (شمعدانان) من الخشب الداكن المحفور ، بينهما منبه صغير على فوقه تقويم (نتيجة) تظهر فيه صورة (ڤينوس النائمة) .

وتتدلى من صدر مدخنة المدفأة صورة « روبرت ايمت » (١) .

على يمين المدخل المؤدى الى الغرفة الأمامية نسخة من لوحة « الجلينرز » (٢) .

وفى الجهة المقابلة نسخة من لوحة « الانجلس » (٣) .

وتحت اللوحة الأولى تقوم خزانة ذات أدراج عليها اناء أخضر ممتلىء بأزهار « الداليا » القرمزية ، والأقحوان الأبيض .

وتوجد بالقرب من المدفأة أريكة تستخدم ليلا كسرير مزدوج لكليثيرو ونورا .

وتحت اللوحة الثانية عدد من الرفوف عليها أوان للطبخ (كسرولات) ومقلاة .

وتحت هذه الرفوف منضدة فوقها مصنوعات خزفية مختلفة .

---

(١) ايمت (١٧٧٨ ــ ١٨٠٣) زعيم ايرلندى قاد ثورة ضد الانجليز سنة ١٨٠٣ .

(٢) The Gleaners وهى صورة تمثل رجلا يقف فى الحقل وبصحبته امرأة منحنية تنتزع البطاطس وتظهر على البعد قرية صغيرة .

(٣) The Angelus وهى لوحة تمثل الرجل نفسه والمرأة وهما فى الحقل وقد توقفا عن العمل ساعة الظهر للصلاة مع دقات الكنيسة .

ــ وهما لوحتان مألوفتان فى معظم البيوت الايرلندية ــ (المترجم) .

وقرب نهاية الغرفة ـ فى مواجهة المدفأة ـ منضدة (من النوع الذى يطوى) مغطاة بمفرش ، وقد وضع فوقها سيف ضخم من سيوف الفرسان .

على اليمين باب يقود الى ممشى يصل السلم بالصالة .

أرضية الغرفة مغطاة ببساط أخضر داكن . والغرفة معتمة فيما عدا الجزء الذى يضيئه وهج المدفأة .

وخلال نافذة الغرفة من الخلف يمكن رؤية اشتعال لهب مصباح الجازولين الذى يضىء للعمال الذين يقومون باصلاح الشارع . بين حين وآخر يسمع رنين المعاول وهى تصطدم بحجارة الرصف .

فلوثر جود يقوم باصلاح قفل الباب ناحية اليمين . وعلى المقعد الى جواره مطرقة مقوسة ، وفى يده مفك . وهو رجل فى الأربعين من عمره نادرا مايستسلم للهموم ، مفرم بالشراب، ولكنه مصمم على التغلب على هذه العادة قبل أن يموت . وهو عريض الكفين ، قاسى الملامح ، تحت عينه اليسرى ندبة ، وأنفه معوج نتيجة لكمة ساحقة أصابته فى شجار منذ زمن طويل .

وهو أصلع عدا خصلات قليلة من الشعر المحمر تطل من وراء أذنيه ، ويخفى شفتيه العليا شارب أحمر كث تتخلله شعرات رمادية .. وهو يرتدى سترة سوداء رثة ، وقميصا من القطن ياقته رقيقة ، « وبابيون » أسود صغيرا جديرا بالاحترام ، وعلى رأسه قبعة رخيصة ناصلة ، ومن عادته عندما ينفعل أن يدق بها على مؤخرة رأسه مرات متتالية وأثناء النقاش ينفجر عادة بالصياح والغضب الذى يدل عموما على حدوث شجار .

انه الآن يلبس قميصا ، وفوقه مريلة بيضاء ملطخة ، وتبرز من جيبها مسطرة النجار التى طولها قدمان .

لقد فرغ لتوه من مهمة تركيب قفل جديد ، وامتلأ بالرضا ، وأخذ يفتح الباب ويغلقه مستمتعا بانجاز عمل متقن .

أمام المدفأة يجلس « بيتر فلين » يجفف قميصا أبيض ، وهو رجل ضئيل ، نحيف الى حد ما ، وله وجه يشبه الماسة. على خديه وتحت ذقنه لحية خشنة متناثرة لونها أبيض متسخ وأصفر ناصل . وتكسو وجهه على الدوام كآبة ظاهرة مختلطة بتحد غاضب ، كما لو كان كل انسان فى حالة حرب معه ، وهو فى حالة حرب مع كل انسان .

انه يلوى رأسه بطريقة توحى بالامتعاض من وجود فلوثر الذى يبدو وكأنه لا يعيره اهتماما ، ولكنه فى الواقع يراقبه خلسة .

يرتدى بيتر فانلة وسروالا أبيض من القماش المضلع ضيقا تحت الركبة ، وفى قدميه جورب .

يسمع صوت يتحدث فى الخارج ، جهة اليسار (وهو صوت مسز جوجان) .

مسز جوجان: (من الخارج) عمن تبحث يا سيدى ؟ — من — عن مسز كليثيرو ؟ .. أوه معذرة .. أوه نعم ، فى نهاية هذا الممر .. أظن أنها فى الخارج : لقد رأيتها وهى تخرج . انك تحمل شيئا لها ، أوه ، معذرة . أنت من قبل محلات أرنوت ..

فهمت ... معك طرد مبيعات لها .. حسنا .. سآخذه .. سأعطيه لها فور وصولها .. سيكون في أمان تام .. أوه هل أوقع على هذا .. معذرة .. أين ؟ .. هنا .. ؟ ليس هنا ، هناك .. حسنا . هل أكتب ماجي أو مسز ؟ ما هذا ؟.. لا تعرف ؟ .. أوه معذرة .

(تفتح مسز جوجان الباب وتدخل . وهي امرأة مكتئبة الملامح ، ضئيلة في الأربعين من عمرها ، متوددة السلوك ، شاحبة البشرة ، قلقة ، عصبية ، ثرثارة جدا ، ومن عادتها أن تمسك بالأشياء التي تكون في متناولها وتعبث بها وهي تتحدث . وقلبها مولع بحب الاستطلاع لا تستطيع ذبابة أن تدخل المنزل أو تخرج منه دون علمها .

في يدها طرد من تاجر الأقمشة محزوم بخيط غير محكم العقدة .

« بيتر ممتعض من هذا التطفل أكثر من ضيقه بوجود فلوثر ، ينهض من مقعده ودون أن يلتفت حوله يدلف الى الحجرة الخلفية وقد لوى رأسه مغضبا . »

مسز جوجان تفض الغلاف ثم تفتح صندوق الكرتون الذي يحتويه .

عجبا ما هذا ؟ قبعة !

(تخرج قبعة سوداء بها زخاف حمراء وذهبية) .

يالالهي ، انها جنت اخيرا بالموضة !

أراهن أن هذه القبعة قد كلفتها الكثير .. يا للأفكار المتعالية التى تنتابها .

(تضع القبعة على رأسها) .. أوه .. كم هى رائعة !

(تعيدها الى الطرد) .

فلوثر : انها فتاة جميلة على أى حال .

مسز جوجان: آه ، انها كذلك ، وليست كذلك .. انها مسرفة أحيانا . وأنا أقول دائما بأن « جونلاتها » أقصر مما يجب بالنسبة لامرأة متزوجة . ولو تراها فى بعض الأمسيات وهى فى قميص نومها ، « المقوّر » لأصابك الفزع .. انني أشعر بالخجل من نفسى أمام زوجها ، وكذلك الطريقة التى تحاول أن تبدو بها مؤدبة وهى تقول : صباح الخير يا مسز جوجان أثناء نزولها ، أو مساء الخير يا مسز جوجان عند عودتها . انها مؤدبة ولكن ليس كل الأدب محبوبا .

فلوثر : ولكن يبدو أنهما على وفاق تام ، رغم كل شىء .

مسز جوجان: آه ، انهما على وفاق ، وعلى غير وفاق . لقد تعودا أن يكونا مثل بمامتين ، دائما فى تقبيل وغزل ، فلم تكن تدخل عليهما الغرفة الا وتحس

بالغـريزة بأنهما قد انتهيـا توا من التقبيـل والعناق .. وكان ذلك كثيرا ما يجعلنى أرتجف لأنه على أية حال ، أمر زاد عن الحد . غير أننى أظن بأنه قد بدأ يأخذ الأمور بشكل أكثر اتزانا ، وأن سر امتلاك امرأة لم يعد سرا .. انها تتزين لتحتفظ به ، ولكن لا فائدة ، فبعد شـهر أو شهرين يزول سحر المرأة .

فلوثر : لا أدرى . لا أدرى ، اننى لا أرغب فى أن أقول شيئا مشينا . اننى أعتقد بأن الأمر كله يتوقف على تحديد المكان : فعندما يجد الرجل سحر امرأة قد بدأ يموت ، فان هذا يعنى عادة أن سحرا بدأ يولد فى امرأة أخرى .

مسز جوجان: انها دائمة التذمر من أنها مضطرة لأن تعيش فى أحد المساكن الشعبية .

انها تقول : أنا لا أود أن أقضى ساعتى الأخيرة فى واحد منها ، وغنى عن القول العيش طول حياتى فيه .

وتقول انها مقابر تخفى الموتى بدلا من بيوت تؤوى الأحياء .

فأقول أنا : ولكن كثيرا من خيرة الناس نشأوا فى مسكن شعبى . أوه ، أنت تعرف أنها فتاة مدبرة أيضا تستطيع أن تنفق شلنا فى الوقت الذى ينفق فيه غيرها جنيها . انها تخدع الكوفى وبيتر العجوز المسكين — وكل انسان يعرف ذلك — ويعـرف أنها تحاول قدر استطاعتها أن تنتزع كل بنس منهمـا ، لكى تملأ المكان بالتحف ..

وقد ملأت حياتهما بالرعب ، انها تغسل وجهيهما ، وتمشط شعرهما ، وتجفف أقدامهما ، وتنفض الغبار عن ملابســـهما ، وتشذب أظافرهما ، وتنظف أسنانهما ، يا الهى الجبار ، ان ذلك يجعلك تحسب أن الرجلين البائسين يقضيان عقوبة الأشغال الشاقة .

فلوثر : (بصيحة اشمئزاز) أ أ آه ، لقد فاق هذا كل الحدود فى منزل شعبى ، انه أمر مشين أكثر من اللازم .

يدخل بيتر من ناحية الخلف ، منتصب الرأس ، وفى عينيه غيظ متقد .

انه لا يزال فى فانلته وسراويله .. وان كان يلبس الآن حذاء بغير رباط..وربما لكى يبدو مظهره لائقا فى حضرة مسز جوجان.

يضع القميص الأبيض الذى كان يحمله على ذراعه ــ على ظهر مقعد بالقرب من المدفأة ويعبر الى خزانة الثياب . يفتح درجا بعد آخر ، باحثا عن شيء ما ، وحين يفشل فى أن يجده ، يغلق كل درج فى عنف . يجذب قطعا من قماش الكتان مطوية بعناية ، ثم يعيدها مرة أخرى كيفما اتفق .

بيتر : (فى نبرات متألمة) ماذا أفعل . يا الهى القدير ، الهمنى الصبر .

(يعود الى الحجرة الخلفية ، يلوى (ينعكش) القميص بعنف أثناء مروره).

مسز جوجان: أنا فى دهشة ، ما الذى يبحث عنه الآن ؟

فلوثر : انه يتزين لاجتماع الليلة .

(يخرج منشورا من جيبه ويقرأ) . مظاهرة كبرى ، وموكب مشاعل يطوف بأماكن المدينة الخالدة فى ذكرى الوطنيين الايرلنديين وتختتم باجتماع يؤخذ فيه يمين الولاء للجمهورية الايرلندية .

التجمع فى ميدان پارنل فى الساعة الثامنة .

لا بأس ، انهم يستطيعون التمهل حتى يأتى فلوثر ، انا انتهيت ، لا شراب بعد اليوم لفلوثر .

ثلاثة أيام ، لم أمس قطرة .. وأشعر بأننى انسان جديد .

مسز جوجان: أليس بيتر انسانا مضحكا ؟

.. انه يشبه شيئا ، انتزعته من شجرة عيـــد الميـــلاد .. عندما يرتدى ملابسه الكهنوتية ، فانك تعجب من أين جاء . عفوك يا رب ، انني حين أراه فى هذا الزى أفكر دائما أن أباه كان مورمونا ! [1] هو والكوفى لا يطيق أحـــدهما الآخر ، كلاهما يحاول دائما أن يبز صاحبه . ولسوف يراق دم يوما ما .

فلوثر : ما السبب فى أن كليثيرو لم تعد له الآن صلة بجيش المواطن الايرلندى ؟ . فمنذ شهرين فقط كان من العسير أن تريه الا ومعه بندقيته وشارة قاعة الحرية (اليد الحمراء) فى قبعته [2] .

مسز جوجان: كل هـــذا لأنهم لم يعينـــوه « كابتن » . انه لن يشترك فى شىء لا يستطيع أن يكون فيه بارزا .

---

(١) المورمون Mormon فرقة دينية لها تقاليد خاصة .

(٢) اليد الحمـــراء هى شـــارة الستر (فى ايرلندا) التى اتخذتها قاعة الحرية أو المركز الرئيسى لحركة العمال فى ذلك الحين . (المترجم)

كان متأكدا تماما من اختياره لدرجة أنه ابتاع حزام .. « سام براون » [1] وكان دائما يتمنطق به . ويقف أمام الباب ، ويعرضه على الأنظار ، حتى يجيء الرجل ويطفيء مصابيح الشارع عليه .

يا الهى ما أظن الا أنه كان يذهب به الى السرير ! .. لكننى أخبرك أن زوجته كانت مبتهجة لأن ذلك الديك لا يصيح ، فهى كالدجاجة القلقة اذا غاب عن ناظريها لحظة .

(أثناء حديثها تتناول كتابا بعد آخر من على المائدة ، متطلعة الى كل كتاب عن قرب . ثم تعيده الى مكانه . انها ترفع السيف الآن ، وتأخذ فى تفحصه) .

مسز جوجان: يبدو من شكله أنه كان بالتأكيد سيف أحد الجنرالات .. يا لكثرة الأشرطة الذهبية ، والنقوش الجميلة عليه .. بالتأكيد انه لا يتناسب مع طوله مطلقا .

فلوثر : أ — آه ، لا يليق به الا (شخشيخة) طفل بمنظره هذا ، والخواطر التى تتقاذف فى رأسه عما سوف يحدث له فى يوم الحساب .

---

(١) هو الحزام العسكرى الخاص بضباط الجيش .

(فى هذه الاثناء يدخل پيتر ، وحين يرى مسز جوجان ومعها السيف يمشى نحوها ، ويخلصه من يدها فى استياء ، ويمضى الى الحجرة الخلفية من غير أن ينطق بكلمة) .

مسز جوجان: (وپيتر يخطف السيف) أوه ، ماذا تظن أنك تفعل ! ..

(توجه الحديث الى فلوثر) أوليس وغدا عجوزا لئيما !

فلوثر : لا تهتمى به . قد تظنين أنه أصم ، ولكنه متى أثير ، أو أفرط فى الشراب فانه يتحول الى العكس .

(يسعل)

مسز جوجان: (فى هذه الأثناء كانت تسير بجنبها حتى القميص المعلق على الكرسى) أوه ، لقد أصابتك نوبة برد ، يا فلوثر .

فلوثر : (بغير اكتراث) أوه ، انها نوبة بسيطة .

مسز جوجان: ينبغى أن تكون محتاطا ، على أى حال ، كنت أعرف امرأة ضخمة جدا ، موردة الوجه ، كروية الجسم ، مع غلظ قليل فى قدميها ، تظن حين تنظر اليها ، انها تستطيع أن تمد ذراعيها وترفع

بيتا من طابقين على رأسها ؛ أصابتها حساسية فى حلقها ؛ وسعال خفيف ، وفى الصباح التالى أصابتها حشرجة بسيطة فى صدرها ، وقد أدركوها بصعوبة لكى يبللوا شفتيها بقليل من شراب الرم ، ثم انتهت .

(تبدأ فى التطلع الى القميص والعبث به) .

فلوثر : (فى شىء من الانفعال) انها ليست سوى نوبة بسيطة من البرد ؛ فلست مريضا بصورة فظيعة .

مسز جوجان: لا أدرى ، كم من رجل فى هذه اللحظة يعب قدحا من البيرة ، أو يفكر فى امرأة ، أو يراهن على حصان ، أو يؤدى عملا كما تفعل الآن ، بينما عربة الموتى تجرها الخيول بعرفها الأسود متجهة الى باب مدخل بيته ، وصوت لا يسمعه يتمتم فى أذنه : الأرض للأرض ، والرماد للرماد ، والتراب للتراب .

فلوثر : (بصوت ضعيف) يجب على الرجل وهو فى أتم صحة ألا يسمح مطلقا لأفكار الموت أن تتوالد فى عقله لأنى (فى سعال مذعور) والله ،

(يدخل الكوفى من الباب ناحية اليمين . وهو يناهز الخامسة والعشرين ، طويل القامة نحيف ، فى وجهه تجاعيد تشكل احتجاجا دائما على الحياة ، كما يتصورها.

هنالك أخدودان غائران على جانبى أنفه ينحدران الى ما حول شفتيه كأنهما حمالتان تحفظان فمه من السقوط . يتحدث فى ولولة ممطوطة متأنية ، ويتحدث بسرعة أكثر عندما يكون منفعلا.

يلبس « اوفرول » من القطن الخشن ، وربطة عنق حمراء زاهية . يقذف بقبعته على المنضدة فى حركة متقززة ، ويأخذ فى خلع « الاوفرول »

مسز جوجان: (موجهة حديثها للكوفى ؛ وقد أقبلت تجرى الى الغرفة) ماذا سيحدث يا كوفى ؟

الكوفى : (فى ازدراء) لقد أوقفت العملية . انهم قد عبئوا ليسيروا فى مظاهرة الليلة تحت (راية) المحراث والنجوم .

ألم تسمعى هتافهم ، هؤلاء الحمقى ! عليهم أن يجددوا عهودهم السياسية التى قطعوها على أنفسهم بأن يكونوا موالين الى الأبد .

فلوثر : (ناسيا خوفه فى غيظه) لا داعى لاقحام الدين

فى الأمر ، أعتقد أنه يجب أن نكن احتـــراما كبيرا للدين بقدر ما نستطيع ، حتى نبعده عن أكثر ما يمكن من الأشياء .

الكوفى : (يتوقف أثناء خلعه للأوفرول) أوه ، أ أنت أحد هؤلاء الذين يستغلون الدين الى مدى ليس أكثر من صلاة الأحد القصيرة ؟ ولعلك ستغنى أغانى صهيون وأغانى « تارا » فى الاجتمـــاع أيضا .

فلوثر : كلنا ايرلنديون على أى حال ، ألسنا كذلك ؟

الكوفى : (بيد ممدودة ، ونغمة مصطنعة) انتبه ، أيهـــا الرفيق ، ليس هنـــالك شىء اسمه ايرلندى ، أو انجليزى ، أو ألمانى أو تركى ، اننا جميعا آدميـــون فحسب ، وبتعبير علمى فان المسألة كلها مسألة اتصال عشوائى بين جزيئات وذرات .

(يدخل بيتر وفى يده ياقة ، يتجـــه الى المرآة ، ناحيـــة الشـــمال ، ويشرع فى ارتدائها .

فلوثر : جزيئات وذرات ! أتظن أيتى سأصغى اليـــك وأنت تحاول أن تخلب لب فلوثر بألغاز معقدة عن الجزيئات والذرات ؟

الكوفى : (بصوت مرتفع نوعا) لا يوجد أى تعقيد فى ذلك ؛ وليس هنالك خوف من أن تقول الكنيسة لك ان الجـــزيئات تجمّع لملايين الذرات من الصـــوديوم ، أو الكربون ، أو البوتاس ، أو اليود الخ .. والتى — طبقا لطريقة مزجها — تصنع زهرة ، أو سمكة ، أو نجمة تراها ملتمعة فى السماء ، أو انسانا بمخ كبير مثلى ، أو بمخ صغير مثلك !

فلوثر : (بصوت أكثر ارتفاعا) ليس هنالك ما يدعو لأن ترفع صوتك ، فالصراخ لا يدل على عقل ناضج .

پيتر : (يجاهد فى تثبيت ياقته) يا الهى ألهمنى الصبر مع هذه الياقة .. انها تجعل هذه الياقات جافة بالنشا كشريط ملتمع من الصلب !
انها تتعمد ذلك لتحاول أن تعوقنى . اذا كنت لا أستطيع ارتداءها على الفانلة ، فكيف بالله أستطيع تثبيتها على القميص ؟

الكوفى : (فى صوت مرتفع) لا فائدة من النقاش معك . ان الثقافة هى التى تنقصك أيها الرفيق ؟

فلوثر : الكوفى مع الله قد صنعا العالم ، أهذا ما تعنى ؟

الكوفى : عندما أسمع البعض يتحدث : فاننى أميل الى عدم الاعتقاد بأن العالم عمره ثمانمائة مليون سنة ، لأنه لم يمض زمن طويل منـذ أن كان آباء بعضهم يزحفون من مأواهم فى قاع البحر .

مسز جوجان: (من الحجرة الخلفية) انظر . هاهم قد تشكلوا أربعات ، والآن سيبدءون فى السير .

فلوثر : (فى ازدراء) الجزيئات ! (يبدأ فى فك مريلته) ماذا تقول فى آدم وحواء ؟

الكوفى : حسنا — ماذا عنهم ؟

فلوثر : (محنقا) ماذا عنهم ؛ قل أنت ؟

الكوفى : آدم وحواء ! أهذا كل ما وصلت اليه .
ألا تزال تحسب أنه لم يوجد أحد فى العـالم قبل آدم وحواء ؟
(رافعا صـوته) ألم تسمع أبدا يا رجل عن هيكل انسان جاوه ؟

بيتر : (يقذف ياقته) اللعنة ، اللعنة . اللعنة !

فلوثر : (يطوى مريلته بعنف) آه ، لن أدعك تدخل تدخل أفكارك الحقيرة الى عقل فلوثر .

الكوفى : انك خائف من سماع الحقيقة !

فلوثر : من الخائف ؟

الكوفى : هو أنت !

فلوثر : دعك من هذا ، أيها الدودة !

الكوفى : من هو الدودة ؟

فلوثر : أنت ، والا ما كنت تتحدث بهذه الطريقة التى تتحدث بها .

الكوفى : ها هو الوحش الجاهل الكامن فيك — يخرج حين يريك العلم أن رأس معبودك خاوية . على أى حال ، أرجو أن تستمتع بنعمة اضطرارك للعيش من عرق جبينك .

فلوثر : سيأتى اليـوم الذى ترفس فيه ، وتصرخ فى طلب القس يا صاحبى . لن أجلس فى صـمت مصغيا فى بساطة الى غبى مثلك يتهكم بالاله الجبار بشكل يثير الاستفزاز . سيكون أمرا مشينا يثقل ضميرى عند موتى أن أتلفت خلفى وأتذكر فى خجل أننى قد تحدثت الى ماضـغ كلمات جاهل مسخ شيوعى !

مسز جوجان: (وقد عادت الى الحجرة الأمامية ، وأخـذت

تتجول وهى تنظر الى الأشياء عمـوما ، وهى الآن أمام المدفأة تنظر الى الصـورة المعلقة فوقها) .

ناشدتك الله يا فلوثر أن تترك هذا الموضوع ، فان ذكر الدين دائما بداية الشجار .. (ناظرة الى الصورة) رحمتك يا رب ، انها امـرأة عارية ! .

فلوثر : (ذاهبا لينظر اليها) ماذا تحتها ؟ (يقرأ) ، جورجينا : قينوس النائمة ، أوه ، هذه صورة مخيفة ! أوه ، هذه صورة مخجلة ! أوه ، هذه المرأة التى أخذت لها هذه الصورة ، لابد وأنها كانت فتاة من الطراز الأول !

بيتر : (الذى أقبل أيضا لينظر الى الصورة ، يضحك وجسمه منحن ، ورأسه مائلة الى الخلف قليلا) هىء ، هىء ، هىء ، هىء ، هىء ، هىء !

فلوثر : (مستاء ، يوجه حديثه الى بيتر) ما الذى تهأهىء له ؟ أهذا شىء يستحق أن تهأهىء منه ، أين أخلاقك يا رجل ؟

مسز جوجان: ليغفر لنا الله ، ليس صوابا أن تتطلعوا اليها .

فلوثر : يكاد يكون مشينا أن توجد فى نفس الغرفة التى فيها هذه الصورة .

مسز جوجان: (فى قهقهة هستيرية) أنا لا أستطيع البقاء أكثر من ذلك فى نفس الحجرة مع ثلاثة رجال يتطلعون اليها .

(تخرج)

الكوفى : (الذى خلع عنه أفروله ، يرميه بحركة ازدراء فوق قميص بيتر الأبيض) .

بيتر : (فى امتعاض) أين تلقى به ؟ أتحاول أن تعاكسنى ، وتعذبنى ثانية ؟

الكوفى : من ذا يحاول أن يعاكسك ؟

بيتر : (يلقى بالأفرول بقوة على الأرض) لن تجعلنى أفقد أعصابى ، يا صديقى الشاب .

الكوفى : (يقذف بالقميص الأبيض على الأرض) حتى لو كنت حبيب نورا نفسها ، فانك لن تنال غرضك دائما .

بيتر : (محنقا وعيناه تنظران الى السقف) لن أقول شيئا .. بل سأتركك الى اليوم الذى يسلمك فيه الله الرحيم الرحمن العطوف الى الملائكة

الذين سيشوون جسدك ، ويمزقونه ، ويعذبونك ويحرقونك باللهب !

الكوفى : أولست أنت اللقيط العجوز الخبيث ، أيها الخنزير ذى الشارب الليمونى !

بيتر : (يجرى الى السيف ويستله ، ويهجم على الكوفى الذى يزوغ منه حول المنضدة ، بيتر ليس لديه نية الضرب . ولكن الكوفى لا يريد أن يخاطر .

الكوفى : (مراوغا) فلوثر ، أمسك به ، انه لشىء لطيف ، أن تلقى معتوها كهذا ، يطوح حواليه بهذا السلاح الفتاك ! .

(ينفلت الكوفى من الحجرة ، ناحية اليمين، ويصفق الباب فى وجه بيتر) .

بيتر : (يدكدك ويجذب الباب) دعنى أخرج ، دعنى أخرج ، أليس شيئا رديئا بالنسبة لانسان لا ينطق كلمة ضد عدوه اللدود أن يجد نفسه مضطرا لأن يصغى لعدوان ذلك الكوفى المثير ، وهو يدفع الناس البؤساء الصابرين أن يمطروه باللعنات التى تسود روحه فى ظلمات السخط فى اليوم الآخر !

فلوثر : لماذا تلقى بالك اليه ، اذا رآك لا تهتم ، فانه لن يقول أى شىء مشين .

بيتر : سأجعله يوقف ضحكاته ، وغمزاته ، وعناده ، وتهكمه وايذاءه المـــارة بتلميحات الصـــبية المتسكعين عـــلى ناصية الشارع .. انه يحاول دائما اثارتى بالغناء ، فان لم يكن فبالصفير ، فاذا لم يكن صفيرا ، فبالسعال ، ولكنك تستطيع أن تضايق كما تشاء ، ها أنذا أهزأ منك هىء ، هىء ، هىء ، هىء ، هىء ، هىء !

الكوفى : (يغنى من ثقب الباب)
يا قيثار بلدى العزيز ، فى الظلام وجدتك .
حلقة السكون القاتمة قد رانت عليك طويلا .

بيتر : (فى ثورة) يا يسوع ، أتسمع ذلك ، أتسمعه يطلق أغنيته الشيطانية الاستفزازية ؟

الكوفى : (يغنى كذى قبـــل) عندما فككتك باعتزاز يا قيثار جزيرتى .
ووهبت أوتارك جميعا للنور والحرية والغناء !
(بيتر يدق على الباب) عندما أخرج سأريك ، سأريك ، سأريك !

الكوفى : (خلال ثقب الباب) كوكوو — وو !

(نورا تدخل من الباب اليمين — وهى شابة فى الثانية والعشرين من عمرها ، نشطة خفيفة الحركة ، مليئة بالحيوية المتوترة ، ومتلهفة نوعا على أخذ حظها من الحياة .

تتعارض قسمات وجهها المحددة — بشكل ملحوظ — مع قمها الغض الفاتن ، وعينيها الحانيتن ، وحين تخذلها صرامتها فانها تستخدم جاذبيتها النسوية فى الاقناع .

ترتدى زيا حسن التفصيل ، وتضع حول رقبتها فراء ثعلب فضى اللون) .

نورا : (تدخل مسرعة وتدفع پيتر بعيدا عن الباب) أوه ، ألا أستطيع أن أدير ظهرى الا وأنتما دائما هكذا ، مثل زوج من الديكة المتقاتلة !

يا عم پيتر .. عم پيتر .. عم پيتر !

پيتر : (صائحا) أوه ، عمى پيتر ، اللعنة على العم پيتر ! أتحسبين أننى سأسمح للكوفى الشاب بأن يحيل حياتى كلها الى كتاب مقدس للعقوبات والاستشهاد ؟

الكوفى : (يندفع الى الحجرة غاضبا) انك ان لم تتحكمى

فى عمك بيتر هذا ، فسوف تكون هنا جنازة ، ولن أكون أنا الذى فى النعش !

نورا : (واقفة بين بيتر والكوفى ، توجه حديثها الى الكوفى) هل أنت ماض دائما فى محاولة تمزيق بقية مظاهر الاحترام التى يحاول الانسان أن يقيمها ؟ وهل أنا مضطرة دائما لأن أدربك على عادة الاحتفاظ ببعض المظاهر ؟

الكوفى : لماذا لم تكونى هنا لترى الطريقة التى هاجمنى بها بالسيف ؟

بيتر : لماذا دعوتنى خنزيرا عجوزا ليمونى الشارب ؟

نورا : اذا لم تحاولا أنتما الاثنان أن تتكرما بتغيير سلوككما ، وأن تستمرا فى محاولة الاحتفال بتقاليد بقية أهل المنزل فى هذا المكان ، عليكما الرحيل الى مسكن آخر قد تقابل فيه مشاجراتكما السيئة بالاستحسان .

بيتر : (الى نورا) هل يعجبك أن يدعوك أحد خنزيرا عجوزا ليمونية الشارب ؟

نورا : اذا حاولت أن تلوح بسيفك هذا نحو أى شخص مرة أخرى ، فسوف ينتزع منك ،

ويوضع فى مكان أمين بعيدا عن الأطفال الذين لا يعرفون خطر هذه الأشياء .

بيتر : (عند مدخل الحجرة الى الخلف) على أى حال ، اننى لن أدع أى شخص يدعـــونى بالخنزير العجوز الليمونى الشارب . (يدخل) .

فلوثر : (يعالج الباب) انه يفتح ويغلق الآن بحركة مهذبة ، مثل باب أى مشرب فاخر فى حانة من حانات الطبقة الراقية .

نورا : (توجه حديثها الى الكوفى ، وهى تعد المائدة للشاى) ولآخر مرة يا ويللى ، يجب أن تحاول أن تتخلص من الرغبة فى استفزاز پيتر الأمـــر الذى يدفعه الى النسيان الصارخ لما هو لائق ومسموح به فى بيت محترم .

الكوفى : حسنا ، اجعليه يهتم بشئونه الخاصة اذن . لقد فاجأته أمس يقهقه وهو يقرأ فقرات من كتاب چينيرسكى « بحث فى نشـــأة وتطور وتدعيم جاك فى أية لحظة ، ولن أسمح بتعكير أمسيته

نورا : والآن ، فلتقف عند هذا الحد بربك ، سيحضر جاك فى أية لحظة ، ولن أسمح بتعكير أمسيته

بالضجة التى لا تنتهى بينك وبين عمى بيتر .
(الى فلوثر) . حسنا ، هل نجحت فى اصلاح القفل يا مستر جود ؟

فلوثر : (يفتح الباب ويغلقه) لقد صار الآن أفضل من قفل جديد يا مسز كليثيرو ، ويكاد يكون مهيئا لأن يفتح ويغلق تلقائيا .

نورا : (تعطيه قطعة من النقود) انك رجل بحق ، كم قدحا من البيرة يمكنك شراءها بهذه القطعة ؟

فلوثر : ولا واحدا يا مسز كليثيرو ، فقد ارتد فلوثر الآن الى شرب الماء . تستطيعين أن تقفى حيث أنت تنشدين : خذ كوبا من البيرة يا فلوثر يا فلوثر خذ كوبا من البيرة ، حتى تدق الأجراس معلنة انتهاء العام القديم ، ومقدم العام الجديد ، ولن تزيد فرصتك فى التأثير على فلوثر من فرصة نغم فى زمارة من الصفيح فى تحريك رجل أصم ميت .

(بينما تفتح نورا الباب وتغلقه ، تظهر عنده مسز بيسى بيرجس ، وهى امرأة فى الأربعين من العمر ، قوية البنيان ، ذات

وجه عنيد قساه الكدح ، فيه قدر من الخشونة من تأثير الشراب . تنظر الى نورا بازدراء وحقد بضع لحظات قبل أن تتكلم) .

بيسى : انها تضع قفلا جديدا فى بابها .. انها خائفة من أن يقتحم جيرانها المساكين الباب ويسرقونها .. (بنبرة مرتفعة) ولماذا لا يكونون أكثر أمانة ألف مرة من حضرتك .. أنت التى تمنعين الأطفال من اللعب على السلم .. لأنهم يثيرون أعصاب حضرتك .. وتتذمرين من بيسى بيرجس التى تغنى ترانيمها بالليل ، حين تكون مخمورة .. (تتقدم الى نصف المسافة على العتبة وتصرخ) . بيسى بيرجس سوف تغنى فى أى وقت تشعر فيه بالرغبة فى الغناء !

(نورا تحاول أن تغلق الباب ، ولكن بيسى تدفعه بشدة ، وتهز نورا ممسكة بها من كتفيها) .

بيسى : أيتها العاهرة الحقيرة المتبهرجة ، انى لا أتورع عن أن أصمّغ وجهك الأبيض اذا فعلت أقل شيء يثيرنى .

نورا : (مذعورة) فلوثر ، فلوثر .

فلوثر : (يأتى مسرعا ، ويخلص نورا من قبضة بيسى) كفى ، كفى ، بيسى ، بيسى ، دعى مسز كليثيرو المسكينة فى حالها ، انها لا تود أن تؤذى أحدا ، ولا تعنى الا بشئونها فقط .

بيسى : لماذا هى تحاول دائما أن تتكلم بتعال ، وتبدو كانسان ذى سلطان فى وسط الناس !

نورا : (تتهالك على الأريكة مذعورة أثناء دخول جاك كليثيرو . وهو شاب طويل قوى البنية فى الخامسة والعشرين من عمره ليس فى وجهه شىء من العزم الذى فى وجه نورا ، انه وجه فيه الرغبة فى السلطة دون القدرة على نيلها .

كليثيرو : (فى انفعال) ما الخبر ؟ ماذا حدث ؟

فلوثر : لا شىء يا جاك ، لا شىء ، انتهت المسألة ، تعالى يا بيسى ، تعالى .

كليثيرو (الى نورا) ماذا فى الأمر يا نورا ؟ هل قالت لك شيئا ؟

نورا : كانت تحاول أن تتشاجر ، وكل ما قلته لها أن تترك هذا المكان وتصعد الى مسكنها وقبل

أن أعرف أين أنا اندفعت نحوى كالنمر تحاول أن تفترسنى !

كليثيرو (يتجه الى البـاب موجها حديثه الى بيسى) اصعدى الى حجرتك يا مسز بيرجس ، وحذار أن تتعرضى لزوجتى . والا ساء الأمر بالنسبة لك .. هيا .. هيا ..

بيسى : (بينما كليثيرو يدفعها خارج الحجرة) اعرف من التى تدفعها الآن .. فأنا على أى حال أذهب الى كنيستى .. ولست كبعضهم ممن لا يذهب الى كنيسة أو معبد صغير — أو حتى الى مكان للاجتماع .. لو كان ابنى قد عـاد من جبهة القتال لأخذ بحقى .

(تغادر بيسى وفلوثر المكان ، ويغلق كليثيرو الباب) .

كليثيرو (يتجه نحو نورا ، ويحيطها بذراعه) كفى ، لا تلقى بالا الى هذه الكلبة العجوز يا نورا .. يا حبيبتى سوف أضع حالا حدا لتدخلها .

نورا : ان عاجلا أو آجلا عندما أكون هنـا بمفردى ستأتى وتفعل شيئا متهورا .

كليشيرو (يقبلها) ليس هناك ما يدعوك للخوف من أن تقوم بفعل متهور . سأتحدث اليها غدا عندما تكون فى وعيها . سأقول رأيى فيها بصراحة تصدمها فتعرف كيف تحسن سلوكها .. !

(تنهض نورا تسوى المائدة ، تبصر « الأوفرول » على الأرض فتقف ناظرة اليه ، ثم تلتفت الى الكوفى الذى يقرأ « بحث جينيرسكى » أمام المدفأة) .

نورا : ويللى .. أهذا مكان لأوفرولك ؟

الكوفى : (ينهض ويرفعه من الأرض) .. أه ، لن يسبب أى ضرر للأرض ، أليس كذلك ؟ (يحمله الى الغرفة الى الخلف) .

نورا : (تنادى) يا عمتى بيتر — هيا .. يا عمى بيتر ، الشاى معد .

(بيتر والكوفى يقبلان من الحجرة من الخلف ، ويجلس الجميع لتناول الشاى ، بيتر فى زى كامل لفرقة الفورسترز ، معطف أخضر موشى بالذهب ، سروال أبيض ، حذاء ركوب وقميص بأهداب . يحمل قبعة بحافة منخفضة ، بها ريشة نعام بيضاء ، والسيف فى يديه .

يقضون بضع دقائق وهم يأكلون فى صمت ،

والكوفى يختلس النظر الى بيتر والازدراء باد فى عينيه . بيتر يعرف ذلك ويجلس متململا .

الكوفى : (باستفزاز) أتريد قطعة أخـــرى من الخبز يا عم بيتر ؟

(بيتر يلتزم صمتا وقورا) .

كليثرو بالتأكيد سيكون اجتماعا عظيما الليلة ، يجب أن نذهب يا نورا .

نورا : (بلهجة حاسمة) لن أذهب يا جاك ، تستطيع أن تذهب اذا أردت .

الكوفى : أتريد السكر يا عم بيتر ؟

(صـــمت) .

بيتر : (منفجراً) الآن أتنوى أن تبدأ محـاولاتك واثاراتك مرة أخرى ؟

نورا : والآن ، يا عم بيتر ، يجب ألا تكون حساسا هكذا ، ويللى يســـألك فقط اذا كنت تريد السكر .

بيتر : هو لا يهمه مطلقا ان كنت أريد السكر أم لا . هو فقط يحاول اغاظتى !

نورا : (للكوفى فى غضب) ألا تســـتطيع أن تدعه

وشأنه يا ويللى .. ؟ اذا كان يريد السكر فليمد يده ويأخذه بنفسه !

الكوفى : (الى بيتر) .. الآن ، اذا كنت تريد السكر ، فلتمد يدك وتأخذه بنفسك !

كليثيرو : الليلة . أول فرصة تتاح لبرينان لاستعراض قوته ، منذ أن اختاروه قائدا ، لماذا ، الله وحده يعلم . ستكون فرصة رؤيته وهو يتبختر على رأس جيش المواطن . حاملا علم المحراث والنجوم .. (ناظرا بخبث الى نورا) ألم يكن يحبك يوما يا نورا ؟

نورا : ربما كان كذلك .. أما أنا فلم أحبه أبدا .. كنت أعتقد دائما بأنه على شيء من الغباء .

الكوفى : انهم يجلبون عارا كثيرا على هذه الراية هذه الأيام .

كليثيرو : (باحتجاج) كيف يلحقون العار بها ؟

الكوفى : (بحدة) لأنه علم عمال ، ولم يقصد به أبدا السياسة .. ماذا يعنى رسم مجراث الحقل يحمل نجوم الدب الأكبر . سوى الشيوعية ؟

انه علم لا ينبغى اتخاذه الا ونحن نقيم المتاريس للنضال من أجل جمهورية عمالية ؟

بيتر : (ينفث فى استهزاء) بوقو .

الكوفى : (بغضب) لأى سبب تنفث ؟ ان عقلك هو عقل مومياء . (ناهضا) من الأفضل أن أذهب ، لأجد مكانا مناسبا لالقاء نظرة على محاربى ايرلندا وهم يمرون . (يمضى الى الحجرة ناحية اليسار ، ويعود « بكاسكتته ») .

نورا : (للكوفى) أوه يا ويللى ، انفض ملابسك بالفرشاة ، قبل أن تمضى .

الكوفى : أوه ، انها تؤدى الغرض كما هى .

نورا : اذهب وانفضها بالفرشاة فى الدرج هناك (يتجه الكوفى الى الدرج ، متمتما ، يخرج الفرشاة ، ويبدأ فى نفض ملابسه) .

الكوفى : (مغنيا . متجها بالغناء الى بيتر أثناء ذلك) :

أوه ، أين ذلك العبد الحقير ،
مقضيا عليه بقيود مهينة ،
الذى ان استطاع أن يحطم قيوده
فسوف يذوى تحتها ببطء ؟

قد وطئنا الأرض التى .. حملتنا
العلم الأخضر يضىء .. فوقنا
الأصدقاء الذين خبرناهم ، فى جانبنا
والعدو الذى نمقته .. أمامنا !

بيتر : (بيتر يثب على قدميه فى دوامة من الغضب) أقول لك الآن يا صديقى الكوفى ، لآخر مرة ، لن أتحمل بعد ذلك تلميحاتك الساخرة وأنت تطوف متغنيا باهاناتك وشتائمك ، وتصبغ عقل الانسان فتجعله يفكر ويقول أشياء تسقم روحه بالخطيئة ! (أصبح فى حالة هستيريا ، رافعا قدحا ليقذف به الكوفى) والله ، سوف ..

كليشيرو : (ممسكا بذراعه) كفى ، لا شىء من هذا ، لا شىء من هذا !

نورا : عمى بيتر ، عمى بيتر ، عمى بيتر !

الكوفى : (عند الباب يهم بالخروج) أوليس هذا الوغد العجوز خبيثا يبدو وكأنه ابن غير شرعى لوالد لقيط كان أبوه عريفا فى الجيش المكسيكى !! (يخرج) .

بيتر : (منتحبا) ها هو سيخرج الآن ؛ ويتركنى فى

حالة من الاضطراب لا أستطيع معها أن أبدو كما يجب عندما أسير الى الاجتماع .

نورا : (تثب واقفة) أوه ، بربك ، هيا ، تقلد سيفك ، واذهب الى اجتماعك ، حتى نجد — على الأقل — ولو ساعة واحدة من الهدوء !

(تشرع فى تثبيت السيف فى منطقته) .

كليثيرو : (محتداً) ناشدتك الله .. عجلى بانهاء هذه المهمة يا نورا .

بيتر : أتحاولون جميعا معاكستى واثارتى الآن ؟

نورا : (تلبسه قبعته المزينة بالريش) اس سش . الآن ، ها هى قبعتك فوق رأسك ، انطلق !

(تدفعه فى رفق بعيدا عنها) .

بيتر : (يذهب ، ويلتفت حين يبلغ الباب) الآن ، لو أن ذلك الكوفى الشاب ..

نورا : اذهب .. اذهب :.

(يمضى) كليثيرو يجلس على الأريكة ، ويشعل سيجارة ، وينظر فى النار مفكرا . نورا ترفع الأشياء من على المائدة ، وتضعها فى الخزانة .

يسود صمت ، ثم تقبل نحوه فى خفة ، وتجلس الى جواره ..

نورا : (فى رقة) ما الذى تفكر فيه يا چاك !

كليشيرو : أنا ؟ أوه ، لم أكن أفكر فى شىء .

نورا : لقد كنت تفكر فى الـ .. اجتماع .. يا چاك . عندما كنا مخطوبين وكنت أريدك أن تذهب كنت تقول : فلتذهب الاجتماعات الى الجحيم وكنت تقول انك تحس بأنك وحيد بين الجماهير الهاتفة وأنا غير موجودة . ثم لم ينقض شهر على زواجنا حتى بدأت لا تستطيع أن تبقى بعيدا عنهم .

كليشيرو : أوه ، كفى حديثا عن الاجتماع . يبـــدو من الطريقة التى تتحدثين بها أنك كنت تريدين منى أن أذهب . مع أنك كنت دائما تلحين على فى أن أترك جيش المواطن ، وقد تركته . ولابد أن ذلك يرضيك .

نورا : آى ، لقد تركته لأنك غضبت عندما لم يجعلوك قائدا . ولم يكن ذلك من أجـــل خاطرى ، يا چاك .

كليثيرو : سواء أكان من أجل خاطرك أم لا ، فانه لصالحك أليس كذلك ؟

لم أنس أن هذا هو عيد ميلادك ، هل نسيت ؟ (يلف ذراعه حولها) وأنت مسرورة بقبعتك الجديدة ، أليس كذلك ؟ أليس كذلك ؟ (يقبلها بسرعة عدة مرات) .

نورا : (لاهثة) جاك .. جاك .. من فضلك ، يا جاك ! كنت أظن أنك قد مللت هذا الشيء منذ زمن بعيـد .

كليثيرو : حسنا .. لقد اكتشفت الآن أننى لم أمله بعد ، على أى حال : مسز كليثيرو لا تريد القبل ، بالتأكيد انها لا تريد ؟

(يقبلها ثانية) يا نورا الصغيرة ، الصـغيرة ذات الشفتين المتوردتين !

نورا : (تزيح فى دلال ذراعه عنها) أوه ، نعم ، نورا فتاتك الصغيرة ، الصغيرة الحمراء الشفتين .. تكون فتاة صغيرة حلوة عندما تعتريك النوبة ، ولكن نورا فتاتك الصغيرة ، الصغيرة الحمراء

الشفتين يجب أن تنظف حذاءك كل صباح .
على أى حال .

كليشيرو : (فى حركة غاضبة) أوه ، على أى حال .. اذا كنت ستحتدين !

(صمت)

نورا : يبدو وكأنك أنت الذى سوف تحتد ! .. فتفقد أعصابك فى مرارة ، فى اللحظة التى أحاول فيها أن أفتح فمى .

كليشيرو : أى غرابة أن يتحول القول الرقيق الى معانى الحقد والضغينة !

نورا : انه لصعب على الواحدة منا أن تشغل دائما عقلها بخلق أفكار لا يزيد مداها عن اشباع رغباتك الخاصة .

(صمت)

نورا : (ناهضة) اذا كنا سنضيع الوقت هباء ، ونجلس كزوج من المومياات الغريبة ، فخير لى أن أقوم بشىء من الخياطة أو أصنع شيئا آخر فى البيت . (تنظر فى رجاء نحوه للحظات قليلة ، هو

لا يتكلم ، تجلس فى خفة بجانبه ، وتلف ذراعها حول رقبته) .

نورا : (فى ضراعة) آه ، جاك .. لا تكن شديد الغضب هكذا !

كليثيرو : (فى عناد) غاضب ، أنا لست غاضبا ، لست غاضبا البتة . انك أنت التى بدأت به .

نورا : (ملاطفة) أنا لم أقصد أن أقول شيئا غير عادى ، أنت تغضب من الواحد فى سرعة أكثر من اللازم ، يا جاك (فى نبرة عادية . كأن لم يكن شىء يثير الغضب قد قيل) انك لم تعطنى مصروف المساء بعد .

(كليثيرو يخرج فى صمت سيجارة لها وأخرى لنفسه ويشعل الاثنتين) .

نورا : (محاولة أن تخلق حديثا) كم هو هادىء المنزل الآن ، لابد وأنهم جميعا فى الخارج .

كليثيرو : (فى اقتضاب نوعا ما) أظن ذلك .

نورا : (تنهض من على المقعد) أنا فى شوق لأن أريك قبعتى الجديدة ، لأعرف رأيك فيها . أتحب أن تراها ؟

كليثيرو : آه ، لا مانع لدى .

(نورا تمنع اجابة حادة ، تتردد لحظة ، ثم تحضر القبعة ، وترتديها ، وتقف أمام كليثيرو) .

نورا : حسنا ، ما رأى مستر كليثيرو فى قبعتى الجديدة ؟

كليثيرو : انها تناسبك يا نورا ، تناسبك حقا .

(ينهض ، ويضع يده تحت ذقنها ، ويرفع رأسها ، تنظر اليه فى خبث . ينحنى عليها ويقبلها) .

نورا : هيا ؛ اجلس ؛ ولا تدعنى أسمع منك كلمة أخرى غاضبة بقية الليلة .

(يجلسان)

كليثيرو : (وذراعه حولها) يا نورا الصغيرة ، الصغيرة المتوردة الشفتين !

نورا : (فى حركة دلال من جسمها تجاهه) جاك !

كليثيرو : (مطبقا ذراعيه حولها) ماذا ؟

نورا : انك لم تغن لى أغنية منذ كنا فى شهر العسل ، غن لى واحدة الآن ، غن .. أرجوك يا جاك !

كليثيرو : أى أغنية ؟ « منذ أن رحلت ماچى » ؟

نورا : أوه .. كلا يا جاك ، ليست هذه ، انها حزينة جدا « عندما قلت انك أحببتنى » .

(كليشرو وهو يسلك حلقه يفكر برهة ، ثم يشرع فى الغناء . نورا تضع احدى ذراعيها حوله .. وتدفن رأسها فى صدره، وتصغى فى نشوة) .

كليشرو : (متغنيا أبياتا تتبع لحن « عندما كنا صغيرين يا ماچى ») .

أزهـار البنفسج كانت تعطر الغابة يا نورا .
معلنة عن سحرها للنحلة .
عندما قلت أول مرة أنا أحبك أنت وحدك يانورا
وقلت أنت انك تحبيننى أنا وحدى !

أزهـار الكستناء تألقت خلال فرجات الشجر
يا نورا
وهزار صدح عاليا فوق شجرة
عندما قلت أول مرة أنا أحبك وحدك يا نورا
وقلت أنت انك تحبيننى أنا وحدى
النرجس الذهبى الرداء تلألأ يا نورا

ورقص فى نسيم المرج
عندما قلتُ أول مرة أنا أحبـك أنت وحدك
يا نورا

وقلت أنت انك تحبيننى أنا وحدى !

الشجر والطيور والنحل غنى أغنية ، يا نورا
عن سعادة أكبر تنتظرنا .
عندما قلت أول مرة أنا أحبك أنت وحدك
يا نورا
وقلت أنت انك تحبيننى أنا وحدى !

(نورا تقبله) .

(تسمع نقرة على الباب ، ناحية اليمين ، صمت أثناء اصغائهما .
نورا تلتصق بكليثيرو ، نقرة أخرى أكثر اصرارا من الأولى)

كليثيرو : أنا فى دهشة . من يمكن أن يكون ذلك الآن ؟

نورا : (فى شىء من العصبية) لا تلق بالا يا جاك ، سوف ينصرفون بعد لحظة .

(نقرة أخرى ، يتبعها صوت) .

صوت : قومندان كليثيرو ، قومندان كليثيرو ، أأنت هنا ؟ رسالة من الجنرال چيم كونوللى .

كليثيرو : اللعنة ، انه الكابتن برينان .

نورا : (فى قلق) لا تهتم به ، لا تهتم يا جاك . لا تحطم سعادتنا .. تظاهر بأننا لسنا هنا . دعنا ننسى كل شىء هذه الليلة ما عدا أنفسنا .

كليثيرو : (مطمئنا اياها) لا تتزعجى يا حبيبتى ، سأرى فقط ماذا يريد ، ثم أبعث به الى حال سبيله .

نورا : (مرتجفة) . لا . لا ، أرجوك يا جاك ، لا تفتح الباب . أرجوك . من أجل خاطـــر حبيبتك الصغيرة نورا .

كليثيرو : (ينهض ليفتح الباب) لا تكونى حمقاء يا نورا .

(كليثيرو يفتح الباب ، ويدخل شـــابا فى كامل لباس جيش المواطن الايرلندى ــ سترة خضراء ، وقبعة خضراء متدليـة الجوانب ، مثبت فى جانب منهـا شـارة اليد الحمراء الصغيرة) . وحزام مـن طراز سام براون فى جرابه مسدس ، يحمل رسالة فى يده . عندما يدخل يرفع يده فى رشاقة محييا كليثيرو . الشـاب هو كابتن برينان) .

الكابتن برينان: (معطيا الرسالة لكليثيرو) بلاغ من الجنرال كونوللى .

كليثيرو : (يقرأ ، وبينما هو يفعل ذلك ، يثبت برينـان عينيه على نورا ، التى ينتابها الاعيـــاء وهى تجلس على الأريكة) :

« على القومندان كليثيرو أن يتولى قيـــادة

الكتيبة الثامنة لجيش المواطن الايرلندى التى سوف تحتشد للسير الى الاجتماع فى تمام الساعة التاسعة . وعليه أن يرى أن جميع الوحدات مجهزة بسلاح كامل ، مؤونة يومين ، وخمسون طلقة ذخيرة .

فى الساعة الثانية صباحا سيتحرك الجيش من « قاعة الحرية » فى هجوم استطلاعى على قلعة دبلن » .

القائد العام . كونوللى

كليثيرو : لست أفهم هذا ، لماذا يلقبنى الجنرال كونوللى بالقومندان ؟

الكابتن برينان: عينتك هيئة الأركان قومندانا ، وقد وافق الجنرال على اختيارهم لك .

كليثيرو : متى حدث ذلك ؟

الكابتن برينان: منذ أسبوعين .

كليثيرو : كيف لم تصلنى كلمة عن ذلك ؟

الكابتن برينان: لقد أرسل الخبر اليك .. أنا نفسى حملته .

كليثيرو : لمن أعطيته اذن ؟

الكابتن برينان: (بعد صمت) أعتقد أنني أعطيته لمسز كليثيرو هذه .

كليثيرو : نورا .. أتسمعين ذلك ؟

(نورا لا تجيب) .

كليثيرو : (فى صوته نبرة جافة) نورا .. الكابتن برينان يقول : انه أحضر رسالة لى من الجنرال كونوللى . وأنه أعطاها لك .. أين هى ؟ ماذا فعلت بها ؟

نورا : (تجرى نحوه ، وتلف ذراعيها حوله فى ضراعة) جاك .. أرجوك يا جاك ، لا تخرج الليلة ، وسأخبرك .. سأشرح كل شيء .. اصرفه ، وابق مع حبيبتك الصغيرة نورا ذات الشفتين المتوردتين .

كليثيرو : (ينحى ذراعيها عنه) كفى عن هذا الهراء الآن ، أريد أن أعرف ماذا فعلت بالخطاب ؟

(نورا تمشى فى بطء الى الاريكة ثم تجلس) .

كليثيرو : (فى غضب) لماذا لم تعطنى الرسالة ؟ ماذا فعلت بها ؟ .. (يهزها من كتفيها) ماذا فعلت بالرسالة ؟

نورا : (منفجرة) أحرقتها ، أحرقتها ! ، هذا ما فعلته بها ! هل سيستحوذ الجنرال كونوللى وجيش المواطن على كل اهتمامك ؟ هل سيصبح بيتك مجرد مكان للراحة ؟ هل سأصبح أنا مجرد شيء يمدك بالمتعة فى الليل ؟ ان غرورك سيصبح دمارا لك ولى من بعد .. هذا هو الذى يثيرك : لأنهم قد عينوك ضابطا .. سترى فيما ستفعله رسالة مجيدة ، بينما تستطيع صغيرتك نورا ذات الشفتين المتوردتين أن تظل جالسة هنا ، متخذة من وحدة الليل رفيقا !

كليثيرو : (فى حدة) ، لقد أحرقتها ، هل فعلت ذلك ؟ (يقبض على ذراعها) والآن ، يا سيدتى ..

نورا : دعنى .. انك تؤلمنى !

كليثيرو : انك تستحقين الايلام .. أى رسالة تجيء الى فى المستقبل ، احرصى على أن تصل الى .. أتسمعين .. احرصى على أن تصل الى ..

(يذهب الى الخزانة ويتناول حزام سام براون ويتمنطق به ، ثم يضع مسدسا فى الجراب .. يرتدى قبعته ، وينظر ناحية نورا .

بينما يدور هذا الحوار .. وبينما كليشيرو يستعد يصفر برينان بصوت خافت « أغنية الجنود » .

كليشيرو : (عند الباب ، يهم بالانصراف) لا داعى لأن تظلى متيقظة فى انتظارى ، فانى اذا عدت على الاطلاق فلن يكونَ ذلك قبل الساعة السادسة صباحا .

نورا : (بمرارة) .. لا يهمنى حتى اذا لم تعد أبدا !

كليشيرو : (الكابتن برينان) .. هيا ياند .

(يخرجان ، صمت ، تنزع نورا قبعتها الجديدة من على رأسها ، وبحركة ساخطة تطوح بها الى الجانب الآخر من الحجرة .. نقرة رقيقة على الباب ، جهة اليمين ، حيث يفتح ، وتدخل مولسر الى الحجرة . انها تناهز الخامسة عشرة ، ولكنها تبدو وكأنها فى حوالى العاشرة فقط لأن آثار السل قد أذبلتها .
منهكة بصورة تدعو للرثاء .. تمشى فى اعياء ، وتسعل سعالا متتابعا . تخطو الى نورا .

مولسر : (لنورا) أمى ذهبت الى الاجتماع ، وقد أحسست بوحدة مفزعة . ولذلك فقد نزلت لأرى اذا كنت تسمحين لى بالجلوس معك ،

لأننى فكرت أنك ربما لا تذهبين .. أنا فى خوف مفزع من أن أموت يوما ما حين أكون وحدى.. كثيرا ما أحسدك يا مسز كليثيرو ، وأنا أرى الصحة التى تتمتعين بها ، والمكان الرائع الذى لك هنا ، وأتعجب ما اذا كنت سأتمتع بالقوة الكافية لكى أرعى بيت رجل ما .

أوه لابد وأن هؤلاء عددا آخر من فرقة البنادق الدبلنية مسرعين الى الجبهة .

(وقبل أن تتوقف مولسر عن الحديث مباشرة ، تسمع على البعد موسيقى جوقة نحاسية تعزف لحنا يصاحب فرقة عسكرية فى طريقها لأخذ القارب متوجهة الى الجبهة . اللحن الذى تعزفه هو .. « الطريق طويل الى تبريرى » .

عندما تصل الجوقة الى الكورس تكون الفرقة قد انحدرت فى الشارع الذى به منزل نورا ، وتسمع أصوات الجنود يغنون فى قوة ككورس للأغنية :

الطريق طويل الى تبريرى ، الطريق طويل ،

الطريق طويل الى تبريرى ، الى أجمل فتاة أعرفها !

وداعا يا پيكاديللى ، وداعا يا لستر سكوير .

الطريق طويل ، طويل الى تبريرى ، ولكن قلبى هناك بالفعل !

(تظل نورا ، ومولسر صامتتين ، تصغيان . عندما ينتهى الغناء وتخفت الموسيقى على البعد ثانية ، تظهر بيسى بيرجس عند الباب جهة اليمين ، وهو الذى تركته مولسر مفتوحا) .

بيسى : (تتحدث فى اتجاه الحجرة) الرجال هناك يتقدمون نحو الخطر المرعب المجهول بينما الحشرات تزحف لتتغذى بخير الأرض ! لكنكم لن تفلتوا من السهم الذى يطير فى الليل ، أو من المرض الذى ينهش فى النهار .. وأما البعض الذين قد يوصفون بحضرة السيدة وما شابه ذلك ، فسوف ينثرون بعيدا كالغبار فى الظلمة !

(تنصرف بيسى ، نورا تتسلل وتغلق الباب فى هدوء . تعود الى الأريكة ، وفى

تعب تلقى بنفسها عليها ، الى جـــوار مولسر) .

مولسر : (بعد فترة صمت ، وسعال) هل بقى أى انسان يا مسز كليثيرو لديه ذرة من العقل ؟

ستـــار

الفصل الثانى

حانة رحبة على ناصية الشارع الذى تلقى فيه الخطب على الجمع من المنصة رقم ١ . الركن الذى يظهر للمتفرجين من الحانة هو الركن الجنوبى . البار الذى يبدأ فى الخلف فى نقطة تقع تقريبا عند ربع اتساع المسافة الظاهرة ، يمتد عبر ثلثى طول خشبة المسرح ، ويختفى الى اليسار متخذا انحناءة دائرية . فوق البار صنابير البيرة وكؤوس وابريق . الثلاثة الأرباع الباقية الى الخلف تشغلها نافذة طويلة واسعة ذات مصراعين . والى جوار هذه النافذة على اليمين استراحة صغيرة مفروزة على شكل صندوق وبجانبها باب متحرك ذو مصراعين ، هو المدخل الى الحانة من تلك الجهة . وخلفه رف ليضع عليه الرواد أقداح الشراب . وتحت النافذة أريكة ذات وسائد . ووراء البار الى الخلف يمكن رؤية الرفوف الممتدة بطول البار . وعلى هذه الأرفف يمكن رؤية نهاية (أو بداية) صفوف الزجاجات . يرى البارمان وهو يمسح الجزء الظاهر من البار . تقف روزى على البار تعبث بما تبقى من الويسكى فى قدحها . هى فتاة قوية حسنة القوام فى العشرين من عمرها جميلة وجريئة فى سلوكها . ترتدى بلوزة صفراء عارية الرقبة بطريقة توحى بالاغراء الواضح . وثوبا من التويد الرمادى ، وجوربا وحذاء لونهما بنى . تختفى البلوزة ومعظم الثوب تحت شال أسود . لا ترتدى قبعة .

فى شعرها حلية مزينة بالجواهر رخيصة لامعة موضوعة بصورة متأنقة .

الزمن بعد ساعة من الفصل السابق .

* * *

البارمان : (يمسح البار) .. ليس لديك عمل كثير الليلة ، يا روزى ؟

روزى : لعنة الله على سوء الحال يا توم . ان أحدا لا يهتم كثيرا بفتاة جميلة فى ليلة كهذه .. فهم جميعا فى جو دينى .. يرتسم الوقار على وجوههم فردا فردا وهم يسيرون الى الاجتماع . انك لتحسب أنهم فى صحبة القديسين المجيدة . وجيش الشهداء النبيل يتهادى فى شوارع الفردوس . انهم جميعا يفكرون فى أشياء أسمى من أربطة سيقان فتاة .. انه اجتماع هائل ، لديهم أربع منصات ، واحدة منها بالخارج مباشرة أمام النافذة .

البارمان : أوه ، نعم ، يقينا أنه عندما يقترب الخطيب (مشيرا بيده) من هنا ، فان من الممكن أن تريه بوضوح وتسمعى كل ما يطلقه من حديث تقريبا .

روزى : انه ليس من المزاح أن تحاول الحصول على خمسة وأربعين شلنا فى الأسبوع لمعاشك وغسيل ملابسك ، وبعدئذ يفرضون جنيها ضريبة على حجرتك الخاصة كلما أحضرت زائرا لقضاء الليلة .. لو أمكننى فقط توفير جنيهين للحصول على ملابس أفضل ومسكن أفضل ، فان كل شىء فى الحديقة سوف يبدو رائعا . اشت ، حتى نسمع ما يقول .

(يظهر من خلال النافذة خيال رجل طويل القامة يخطب فى الحشد . ينظر البارمان وروزى من النافذة ويصغيان)

صوت الرجل: انه لشىء مجيد أن نرى الأسلحة فى أيدى الايرلنديين . يجب أن نعود أنفسنا على منظر السلاح ، ويجب أن نعود أنفسنا على فكرة السلاح ، ويجب أن نعود أنفسنا على استخدام السلاح .. ان اراقة الدماء شىء منظف ومطهر ، وان الأمة التى تعتبره منتهى الهول لهى أمة فقدت رجولتها .. هنالك أشياء كثيرة أفظع من اراقة الدماء ، والعبودية احداها !

(يتحرك الخيـال مبتعدا الى اليمين ، ويختفى عن النظر والسمع) .

روزى : ليكن فى علمك أن ما يقوله هذا الرجل هـو الحقيقة المقدسة .

البارمان : لو أننى كنت أصغر من ذلك قليلا لانغمست بجنون فى وسط هذه المعمعة !

روزى : (التى ما زالت تطل من النافذة)أوه ، ها هما الرجلان يهرولان مرة أخرى الى هنا من أجل شرابهما !

(يدخل پيتر وفلوثر محدثين ضجة .. تتملكهما الاستثارة والتشبع والحمـاس بتأثير ما شهداه وسمعاه . تجيش فيهما العاطفة ، بحيث أنهما حين يشربان وحين يتحدثان يشربان ويتحدثان وقد تملكهما الانفعال العاطفى . پيتر يتقدم صـاحبه الى البار) .

پيتر : (للبارمان فى لهجة متعجـلة) نصفان من الويسكى .. (لفلوثر) ان اجتماعا كهذا يجعلنى دائما أحس كما لو كنت أستطيع أن أعب بحيرة ايرن حتى أفرغها !

فلوثر : لا يمكنك أن تشـعر بشىء غير ذلك فى وقت كهذا تنبض فيه روح الانسان محـاولة أن

تنطلق لتناضل فى سبيل الحق وقدماه ترتعدان على الطريق المؤدى ربما الى المقصلة ، وفى أذنيه يطن الصوت الخابى البعيد لطلقات البنادق التى قد تودى بآخر رمق من الحياة لم يزل يختلج فى جسده !

بيتر : لقد شعرت بغصة تلتهب فى حلقى عندما سمعت الفرقة تعزف أغنية « الجنود » متذكرا آخر مرة سمعتها فيها ونحن نسير فى التشكيل العسكرى ، والناس على الجانبين يحدقون فينا ، ونحن نحمل معنا كبرياء دبلن واصرارها الى قبر وولف تون .

فلوثر : ان تطلق العنان لرجال دبلن تجدهم يندفعون بأقصى قوة للنيل من أى شىء يحاول أن يقف بينهم وبين ما يريدون ، بينما يعرج الفتى الريفى الماكر هاربا من أقل بادرة تعرضه للخطر !

بيتر : (للبارمان فى عجلة) اثنان آخران ، يا توم !.. (لفلوثر) لقد كانت ذكرى كل الأشياء التى تمت ، وكل ما قاساه الناس تموج فى ذهنى ..

كان كل عصب فى جسدى يرتجف لفعل شىء منتهور !

فلوثر : ورغم أننى كنت محشورا فى ذلك الجمع ، فقد كنت أصغى الى الخطب التى تنهمر فوق رؤوس الناس كما ينهمر المطر فوق الغلة ، وخلا ذهنى من كل الأفكار المشينة ، وقلت لنفسى : تستطيع أن تموت الآن يا فلوثر ، فقد رأيت أطياف أحلام الماضى تثب الى الحياة فى أجساد رجال أحيـــاء ، يثبتون أننـــا اذا كنا بدون ذرة من الشجاعة ، فقد أصبحنا على عكس ذلك الآن ! انظر هنا (يمد ذراعه أمام وجه بيتر ويشمر كمه) . كان الدم يغلى فى عروقى !

(مرة أخرى يتحرك على اطار النافذة خيال الرجل الطويل مخاطبا الناس) .

بيتر : (لفلوثر ، غير منتبه ، فى فورة حماســه الى ظهور الخطيب) لقد كنت أتحرق لأستل سيفى ، وألوح به ثم ألوح به فوق رأسى —

فلوثر : (ينهر بيتر) هلا كففت عن هذرك لحظـــة يا رجل ، وتركتنا نسمع ما يقول !

صوت الرجل: أيها الرفاق .. جنود جيش المتطوعين الايرلنديين وجيش المواطن ، اننا مبتهجون لهذه الحرب الرهيبة . لقد كان قلب الأرض العجوز فى حاجة لأن يتدفأ بنبيذ ميادين القتال الأحمر .. ان مثل هذا التكريم الجليل لم يقدم الى الله من قبل : قربان ملايين الأرواح التى توهب بسرور محبة للوطن . ويجب أن نكون على استعداد لاراقة ذلك النبيذ الأحمر ذاته وبالتضحية المجيدة ذاتها ، لأنه بدون اراقة الدماء فلن يكون هنالك خلاص !

(يتحرك الخيال مختفيا عن النظر والسمع) .

فلوثر : (يزدرد ما تبقى فى كأسه من شراب ويندفع خارجا) هيا يا رجل فهذا شىء أروع من أن يفوتنا !

(ينتهى بيتر من شرابه ببطء وأثناء خروجه ماسحا فمه بظهر يده ، يصطدم بالكوفى الذى كان مقبلا . فيشد قامته على الفور كديك صغير ، ويخرج وقد دفع ذقنه الى الأمام مكتسيا وجهه بنظرة وقار يشوبها الحقد) .

الكوفى : (أمام البار) أعطنا كوبا من البيرة ناشدتك الله ، حتى أفيق من صدمة رؤيتى للمنظر الذى يجرى بالخارج !

روزى : (تقبل الى البار متحفزة للعمل وتقف قريبا من الكوفى) وأخرى لى يا تومى ، (للبارمان) لقد طلبها الشاب بطرف عينه .

(يحضر البارمان الشراب للكوفى . ويتركه فوق البار تخطفه روزى)

البارمان : ايه ، انتظرى ، انتظرى ، يا روزى !

روزى : (للبارمان) لماذا تسألنى أن أنتظر ؟ ألم تسمع الشاب يقول انه لا يقدر أن يرفض شيئا لفتاة صغيرة جميلة ؟ (للكوفى) أليس ذلك صحيحا يا چيجز ؟ (الكوفى لا يقول شيئا) . ألم أكن أعرف يا تومى أن كل شىء سيكون على ما يرام ؟ يكفى روزى أن تتفحص شابا لتكتشف ما يدور فى عقله من أفكار . أليس ذلك صحيحا يا چيجز ؟

(يتململ الكوفى قليلا ويشد قبعته فوق عينيه ويبتعد) .

روزى : (تتبعه) اجتماع عظيم ذلك الذى ينعقد بالخارج . حسنا ان الأمر متروك لنا جميعا ، على أية حال ، لنقاتل من أجل حريتنا .

الكوفى : (للبارمان) اثنان آخران ، من فضلك (لروزى) حرية ! ما فائدة الحرية ان لم تكن حرية اقتصادية ؟

روزى : (مؤكدة بمد ذراعها وتحريك اصبعها) لقد استخدمت نفس هذه الكلمات قبل أن تحضر مباشرة . قلت : هناك كثير من المضللين الذين لن يعرفوا معنى الحرية حتى لو تلقوها عن أمهاتهم .. (للبارمان) ألم أقل ذلك يا تومى ؟

البارمان : لا أذكر .

روزى : لا ، ليس صحيحا أنك لا تذكر . تذكّر أنك قلت أنت نفسك ان كل شيء كان مجرد فقاعة فى اناء . حسنا ، وقلت أنا : فقاعة فى اناء أو غير فقاعة ، فانهم لن يدفعوا روزى ريدموند لأن تقاتل فى سبيل حرية لا تستحق أن يفوز الانسان بها فى اليانصيب !

الكوفى : ليس هناك سوى حرية واحدة بالنسبة للعامل :

السيطرة على وسائل الانتاج ، وسعر العملة ، ووسائل التوزيع . (ينقر بخفة على كتف روزى) انظرى هنا ، أيتها الرفيقة ، سأترك لك هنا فى الليلة القادمة نسخة من كتاب جينيرسكى : بحث فى نشأة ، وتطور ، وتدعيم الفكرة التطورية للبروليتاريا .

روزى : (تلقى بشالها على البار ، كاشفة عن رقبة مفتوحة تظهر جانبا كبيرا من صدرها الأبيض) . لو أخذت رأى روزى : لقالت لك انه من المفجع أن ترى شابا يفكر فى أى شىء ، أو يعجب بأى شىء عدا الجوارب الحريرية الشفافة التى تظهر شكل سيقان فتاة صغيرة ! (الكونى وقد تملكه الخوف يبتعد قليلا) . روزى (تتبعه) . فى الحديقة فى ظل أمسية صيفية دافئة ، مع عروسك المقبلة ، عروسك الصغيرة الحبيبة ، تقبلها وتعانقها (تحاول أن تحيط رقبته بذراعيها) تقبلها ، هه ؟

الكونى : (خائفا) ايه ، ماذا تفعلين ؟ دعك من هذا

الآن ؟ دعك من هذا . لدى أمور أهم من مطاردة الفتيات !

(يتحـــول عنهـــا ولكـــن روزى تتبعه وتواجهه) .

روزى : أوه ؛ يا حبيبى الصغير ، يا حبيبى الصـــغير الخجول ! انك لم يحدث أن أمسكت يد فتاة من قبل ؛ ولا تعرف كيف تداعب فتاة صغيرة ! (تقرصه تحت ذقنه) دغدغيه فى ذقنه ، دغدغيه فى ذقنه !

الكونت : (يفلت منها ويجرى الى الخارج) ايه ، كفّى عن هذا الآن ، لا أريد أن تكون لى عـــلاقة بفتاة مثلك !

روزى : (محتدمة) يا يسوع ! ان بعضنا كان يجب أن يكون فى دير ؛ يقضى أجازاته راكعا عـــلى ركبتيه ، يعد حبات مسبحته ، ويدق على صدره حتى يكاد يخلعه .

الكونت : (بالخارج) كوكو وو — وو !

(پيتر وفلوثر يقبلان ثانية ، تتبعهمـــا مسز جوجان ، تحمل طفلا بين ذراعيها . يتجهون الى البار) .

بيتر : (بغضب متألم) انه لشيء فظيع أن هذا الكوفى لا يستطيع أن يدعنى أمر° دون أن يشاكسنى ! هل سمعته يقول كوكوو ، ونحن نمر ؟

فلوثر : (متضايقا) لا يمكن أن تظل أذناى منتصبتين على الدوام لسماع كل همسة صغيرة تسبح حولى ! فقاعدتى هى ألا أفقد أعصابى حتى يصبح التحكم فيها شيئا مدمرا . ليس فى كلمة كوكوو ، أى انتقاص من شأنك ، أليس كذلك ؟

بيتر : (دامع العينين) ليست الكلمة ، وانما الطريقة التى يقولها بها : انه لا يقولها أبدا واضحة ، بل يغمغم بها بانحناءات مهتزة كمتنوعات على الناى !

فلوثر : آه ، وهل هناك فرق اذا ما قالها متنوعات على الترومبون ! (لمسز جوجان) ماذا تريدين أن تشربى يا سيدتى ؟

مسز جوجان: نصف ويسكى يا فلوثر .

فلوثر : (البارمان) ثلاثة أنصاف يا تومى .

(يحضر البارمان الشراب) .

مسز جوجان: (تشرب) ان زى فرقة الفورسترز لهـو زى بديع ! لا أعتقد أنى رأيت أجمل منه فى تمثيلية صامتة .. وأجمل ما فيه فى نظـرى هو ريشة النعام .. حين تسيرون وأراها تهتز ، وتروح وتجىء ، وتتراقص يخيل الى أنى أنظر الى كل منكم معلقا فى طرف حبل ، عيونكم منتفخة وسيقانكم تنثنى وترتج لاهثى الأنفاس ، وأنتم تحاولون الموت فى سبيل ايرلندا !

فلوثر : اذا كان أحدهم معلقا فى طرف حبل ، فان ذلك لن يكون فى سبيل ايرلندا !

بيتر : هل تنوى أن تبدأ ألاعيب المشاكسة والمضايقة التى يلعبها الكوفى مع انسان ليس هناك كثيرون يمكن أن يقولوا : انه قد فاته أن يحج الى بودنستاون [1] طوال خمسة وعشرين عاما !

فلوثر : أنت دائم الثـــرثرة متبـــاهيا بالذهاب الى بودنســـتاون . أتظن أنه لم يذهب أبدا الى بودنستاون أحد سواك ؟

---

(١) مدفن الزعيم الايرلندى وولف تون ١٧٦٣ ــ ١٧٩٨ م (المترجـم)

بيتر : (فى أسى) لست أتباهى ، ولكن لا يمر عام أذهب فيه الى هناك دون أن أقتطف ورقة من الأكاليل من ضريح تون ، واليوم أوشك كتاب صلواتى أن يمتلىء بها .

فلوثر : (بازدراء) اذن لفلوثر رأى مناقض فى هؤلاء الذين يضعون أوراق اللبلاب فى كتب صلواتهم . مغتصبا بذلك مكان رجال الدين محاولا أن يحيط نفسه بهالة أعظم من هالة القديسين فيبدو وكأنه يضع حـــــول رأسه الشفق الشمالى المتلألىء ! (فى شراسة) بالتأكيد لا يهمنى البتة اذا كنت قد نمت فى بودنستاون ! يمكنك أن تتناول افطارك وغداءك وعشاءك على القبر فى بودنستاون ، اذا شئت أن تفعل من أجـــــل فلوثر !

مسز جوجان: أوه ، لا تبـدأوا شجارا يا أولاد ، ناشدتكما الله ؛ كنت فقط أقول ما أجمله من زى — أجمل من الرداء الاسكتلندى ، ذلك أنى وليسامحنى الله ؛ أعتقد أن الرداء الاسكتلندى دائما قليل الاحتشام .

فلوثر : آه ، بالتأكيد ، عندما تنظرين اليه ، لابد أن تتساءلى عما اذا كان الرجل هو الذى يجعل الزى مضحكا أم ان الزى هو الذى يجعله مثيرا للسخرية !

البارمان : كفى هذا ، حاولوا أن تتكلموا بهدوء ، هل تسمحون ؟ لا نريد صياحا هنا .

(يدخل الكوفى تتبعه بيسى بيرجس ويتجهان الى الطرف المقابل من البار ، ويوجهان انظارهما للمجموعة الأخرى) .

الكوفى : (للبارمان) .. كوبان من البيرة ..

بيتر : ها هو قد حضر ، كنت أعلم أنه لن يتأخر عن اللحاق بى .

بيسى : (تتحدث الى الكوفى لكنها فى الحقيقة توجه الكلام الى المجموعة الأخرى) لا أستطيع وحياتى أن أفهم كيف يمكن أن يسموا أنفسهم كاثوليكا ، فى حين أنهم لا يرفعون اصبعا دفاعا عن بلجيكا الكاثوليكية البائسة .

مسز جوجان: (ترفع صوتها) .. وماذا عن ايرلندا الكاثوليكية البائسة ؟

بيسى : (موجهة الحديث لمسز جوجان) .. لا تتدخلى فيما لا يعنيك يا مدام ، وداري غباءك بالشراب .

بيتر : (قلقا) لا تلقى بالا اليها ، لا تهتمى بها . كل ما هنالك أنها تعذب نفسها بحثا عن شجار مع شخص ما .

بيسى : ان عاصفة من الغضب تضطرم فى قلبى ، عندما أفكر فى الجنـــود الانجليز المساكين ، ومعهم وحيدى مبتلين بالمياه وغارقين فى الدمـــاء ، يتحسسون طريقهم الى موت مدمر ، تحت وابل من القذائف ! شباب تتوهج فيهم رغبة الحياة المشرقة ، وقد أضجعوا أجسادهم البيضـــاء الممزقة فى شرائح دامية ومهلهلة ، على المذبح الذى شيده الله نفسه ليضحى عليه الأبطال !

مسز جوجان: أليس من الطريف أن نصغى الى فتاة ، مطأطىء الرؤوس فى صمت ، ونحن نعـــلم أن بعضهم يعرف عن برميل من البيرة أكثر مما يعرف عن القديسين المباركين .

فلوثر : هشت ، انها دائما تكون خطرة ومشينة عندما تسرف فى الشراب . وأسلم طريقة لمنعها من أن

تستمتع بحقدها ، هى أن نغـرق أفكارنا فى حقيقة أنها أنثى خرجت من زمرة العقلاء من النـاس .

بيسى : إن رؤية بعض النساء المتسكعات هـذه الأيام شىء يجعل الانسان يتحسر .. ان امرأة بمفردها تشرب مع شرذمة من الرجال يصعب أن تكون مثلا لجنسها .. المرأة التى تشرب مع امرأة شىء ، والمرأة التى تشرب بمفردها هى امرأة مع ذلك — أما المراهقات فيمكن أن يوضعن فى فئـة مستقلة — لكن امرأة متزوجة فى مقتبل العمر تجعل نفسها محور دائرة من الرجال انما هى امرأة متبجحة وعنيدة لا تقيم لبيتها وزنا .

الكوفى : (لبيسى) عندما أفكر فى كل المشـاكل التى تواجه العمـال يصيبنى الغثيان حين أنظـر الى أولئـــك الشواذ يتسكعون آخذى زينتهم كشخصيات ساخرة خضراء ضلت طريقها خارج حانوت للعب الأطفال !

بيتر : يا الهى العظيم ، ألهمنى الصبر على سماع هذا الكوفى اللعين وهو يستفزنى من الطرف الآخر للحانة !

مسز جوجان: (تغمس اصبعها فى الويسكى وتبلل به شفتى طفلها) ان سيسى جوجان امرأة عاشت ما يقرب من خمسة وعشرين عاما فى غرفتها الخاصة ، وفوق أنها توقف النهار لجيرانها ، لم يحدث أبدا أن أدخلت رأسها فيما يتعلق بشئون غيرها من الناس ، بينما هى تعرف أن بعضهم لا يستريح أبدا الا اذا نصبوا أنفسهم رقباء على أفعال الآخرين !

(تهم بيسى بالرد عندما يظهر على النافذة مرة أخرى الخيال الطويل الداكن ، ويسمع صوت الخطيب وهو يخطب فى انفعال) .

صوت ان الشهور الستة عشر الماضية كانت أمجد فترة فى تاريخ أوربا . البطولة عادت الى الأرض . ان الحرب شىء رهيب ، ولكن الحرب ليست شرا . ان الناس فى ايرلندا يفزعون من الحرب لأنهم لا يعرفونها . ان ايرلندا لم تعرف نشوة الحرب لأكثر من مائة عام . وعندما تأتى الحرب الى ايرلندا يجب أن نرحب بها كما نرحب بملاك من عند الله !

(يبتعد الخيال عن النظر والسمع) .

الكونت : (لجميع الحاضرين) .. مخـدوع .. مخدوع ليست هناك سوى حرب واحدة تستحق أن يخوضها الانسان : الحرب فى سبيل التحـرر الاقتصادى للبروليتاريا .

بيسى : يمكنهم أن يتباهـوا كما يريدون ، ولكنه من الأنسب لبعضهم أن يصـــلحوا من سلوكهم ، ويكفوا عن بث الكشافين لاستطلاع مقـــدم مفتش (جمعية) القديس ڤنسنت دى بول [1] ، خشية أن يضبـــطوا وهم يحتسون كوبا من البيرة ؛ ساخرين من المفتش باصطناع وجـــه ملائكى متألق ببريق الخداع والأكاذيب !

مسز جوجان: واحدى الفتيات تقف متصلبة خلف بابها وأذناها منتصبتان تصغى لما يقال ، مشحونة الى درجة التوتر بالحسد لاحدى الجارات التى تجاهـد للحصول على مطالب الحياة القليـــلة ، التى لا يمكن أن تنالها الا بالسعى الشاق اذا كانت

---

(١) ـ اشارة الى جمعية القديس ڤنسنت دى پول وهى جمعية خيرية تساعد الفقراء ، ويقـوم أحد رجالها بالتعـرف على من يستحقون المساعدة فعلا . (المترجم) .

ستراعى نصوص القانون وتقاليد الكنيسة !

بيتر : (لمسز جوجان) لو كنت منك يا مسز جوجان لقابلت ملاحظاتها الحادة بصمت القوى الذى يحول دون كلماتها المكايدة ودون النفاذ الى مشاعرك . ان من الأفضل دائما أن يترك هؤلاء الناس لانتقام الله !

بيسى : بيسى بيرجس لا تزعم أنها تعرف الكثير ، فلم يكن عقلها متغطرسا أبدا ، والحمد لله ، ولكنها تسعى لتجميع المعرفة وفق ما يمليه ضميرها : قاعدة فوق قاعدة ، وسطرا فوق سطر ، قليل هنا وقليل هناك . ولكنها (محركة شالها فى انفعال) وشكرا للمسيح ، تعرف متى جاءت الى الحياة ، وأين جاءت ، وكيف جاءت ، بينما هناك البعض الذين تعرفهم يزينون اصبعهم بخاتم زواج جيد الصقل ، يقعون فى ورطة اذا طلب منهم اظهار وثيقة زواجهم !

مسز جوجان: (تثب الى وسط المكان فى عاصفة هوجاء من الغضب المتشنج الهستيرى) أيتها الأفاكة الخبيثة المتبجحة ، ان خاتم زواجى قد استحققته عن

جدارة بقضاء عشرين عاما الى جانب زوجى ، الذى يستريح الآن فى السماء ، والذى زوجه الىّ الأب دمپسى ، فى كنيسة سانت جود ، فى أسبوع عيد الميلاد من عام ألف وثمانمائة وخمسة وتسعين ، وكل طفل حى أو ميت أنجبته چينى جوجان منذ ذلك الحين جاء وفقا لحدود الوصايا العشر ! .. وهكذا أكثر مما يمكن أن يقوله بعضكم ممن تحفظهم من هول الدمار بضع فضائل خاملة ، تخمدها فى النوم أول همسة للاغراء ، وممن لن يميزوا بين خطيئة وأخرى الا فى يوم غسلهم الأخير فقط ، وممن يستغلون ضوء النجوم المتلألئة الطاهر للانغماس فى خطايا ليلة عابثة !

بيسى : (تقفز لتواجه مسز جوجان مصفقة بيديها بحدة لتأكيد ملاحظاتها) أنت أيضا كاذبة أيتها السيدة المتحجرة المتعدية على طيبة الآخرين ، لقد جفّت روحك فى فنون الخداع ، حتى تبخرت منها كل قطرة من الاحترام الجدير بالأنثى اذا ما نظرنا الى متاوراتك المدبرة مع الرجال !

البارمان : كفى ، كفى ، تحدثوا بهدوء . لا نريد شجارا هنا ، لا نريد شجارا هنا الآن .

فلوثر : (محاولا تهدئة مسز جوجان) كفى يا چينى ، چينى ، ان من المشين تشـــــويه ليلة كهذه بالشجار ؛ ان ذلك لا يتفق والشعور بالأمـــل الذى يجب أن يملأنا ، بدلا من أن نكون على العكس !

بيتر : (محاولا تهدئة بيسى) أنا فى حالة سيئة جدا يا مسز بيرجس ، والشجار يتركنى ضعيفا مدة طويلة بعد ذلك .. أرجوك يا مسز بيرجس أن تحاولى أن تحترمى نفسك قليلا قبل أن يقع ضرر .

بيسى : (تدفع بيتر بيدها دفعة ترسله مترنحا الى نهاية الحانة) اذهب عنى أيها الواعظ الصـــغير ، ذو الوجه الأصفر ، أيها التابع الحقير ، أيها المكتنز القصير ، أيها التافه أنت !

مسز جوجان: (تصرخ) فلوثر ، دعنى ، لن أظل ملتزمة الصمت بلا معارضـــة ، وهى تنثر كلماتها الخبيثة فى

وجهى ، متحدية كل آداب السلوك التى تتميز بها امرأة محترمة ، بسيل أكاذيبها التى لا تهدأ ، والتى تجعل القديس يقلب صلواته رأسا على عقب .

بيسى : (صائحة) آه ، ان كلا منا يعرف جيدا أن أفضل احسان يمكن أن يسديه اليك هو التستر على حقيقتك بقدر ما تسمح به عبـــادتنا لله القدير !

مسز جوجان: (بطريقة هستيرية) بربكم ، فليمسك أحدكم الطفل ، ليمسكه لحظة ! ان ما أسعى اليه الآن هو أن ألقن هذه الفتاة درسا أو اثنين .. (لبيتر) أستحلفك ، امسك أنت الطفل . (وقبل أن يدرك بيتر الأمر ، تضع الطفـــل بين ذراعيه) .. (لبيسى) وهى تواجهها متأهبة للشجار) . هيا ، الآن يا فتاتى الوفية التى تموت حزنا من أجل بلجيكا الكاثوليكية الصغيرة ! عندما تنتهى چينى جوجان من أمرك ، لن يتبقى لديك وأنت راقدة سوى وقت قصير للتفكير والصـــلاة من أجل مليكك ووطنك !

البارمان : (يقبل من خلف البار ، ويقف بين المرأتين ، ثم يشرع فى دفعهما نحو الباب) هيـــا الآن ، ما دمتما لا تستطيعان النقاش فى هدوء ، فلتسرعا خارج هذا المكان وسويا خلافاتكما فى مكان آخر — لا أريد تدوين مخالفة أخـرى على رخصتى .

بيتر : (بقلق ، موجها الحديث لمسز جوجان) هيـا ، استردى طفلك ، خذيه . ما أجمل الطريقة التى أخترت بها دون غيرى ، وأفاجأ به بين ذراعىّ !

الكوفى : ربما كانت تعرف لمن تناوله .

بيتر : (للكوفى فى حدة) الآن ، انى أحذرك تحذيرا كافيا أيها الكوفى الشاب ، أن تكف عن اطلاق غمزاتك وسخرياتك .. اذ انتى فى يوم من الأيام سأخالف أوامر الله العلى القدير وأقضى عـلى حياتك !

البارمان : (يدفع بيسى الى الخارج وراء مسز جوجان) هيا الآن ، اخرجى .

بيسى : (وهى خارجة) اذا كنت تظنين يا فتاتى ، أن

ضمير بيسى بيرجس غير نظيف ؛ فسرعان ما يتبين لك العكس !

بيتر : (تاركا الطفل على الأرض) ايه ، بحق يسوع ، انتظرى هناك حتى أردّ لها صغيرها ! (يجرى الى البـاب) اسمعى ! اسمعى ! (يعود) . ها هى قد انصرفت دون طفلها . ماذا سنفعل به الآن ؟

الكوفى : ماذا ستفعل به ؟ احمله الى الخارج وأر كل شخص ماذا وجدت !

بيتر : (لفلوثر فى ذعر) احمله أنت يا فلوثر ، واجر وراءها به ، هلا فعلت ؟

فلوثر : ماذا تظن بفلوثر ؟ يجب عليك أن تعـرف أن فلوثر رجل بحق . أتعتقد أن فلوثر مثـلك ، مجرد من أى ذرة من الفهم ؟

البارمان : (لبيتر بلهجة آمرة) احمله يا رجل ، وامض وراءها به ، قبل أن تبتعد كثيرا . أنت لا تنوى أن تترك ذلك الشىء اللعين هنا ، أليس كذلك ؟

بيتر : (شاكيا وهو يرفع الطفل) حسنا ، يا الهى القدير ألهمنى الصبر على جميع المستخفين والمعذبين ،

والمشاكسين الذين يحاولون دائما وأبدا تحريضى على الدعاء عليهم بالعمى والنسف والحرق فى العالم الآخر !

(يخـــرج) .

فلوثر : يا لله ؛ انها لراحة كبرى أن نتخلص من ذلك الحشد . ما أفظع النساء عندما يبدأن فى العراك . ليست هناك وسيلة لمنعهن . (للكوفى) هل تنوى أن تتناول شيئا ؟

الكوفى : آه لا بأس من تناول نصف آخر .

فلوثر : (للبارمان) اثنان آخران يا تومى ، يا بنى .

(البارمان يحضر الشراب) .

فلوثر : أنت تعرف ، أنه ليست هناك وسيلة لكبح جماح المرأة عندما تفقد رشدها .

(روزى تدخل وتمضى الى البار من الناحية القريبة من فلوثر) .

روزى : (للبارمان) لا فائدة فى ساقين جميلتين فى ليلة كهذه ، ان الأمور لم تكن أسوأ من هـــذا أبدا .. أعطنا نصفا حتى الغـــد يا تومى ، يا حبيبى ..

البارمان : (ببرود) لا مزيد الليلة يا روزى ، أنت مدينة لى بثلاثة حتى الآن .

روزى : (بلهجة شجار) سأدفع لك ، أليس كذلك ؟

البارمان : أرجو ذلك .

روزى : ترجو ذلك ! أهذه هى الطريقة التى ستتبعها ؟

فلوثر : (للبارمان) أعطها كأسا ، سيكون الأمر على ما يرام .

روزى : (تربت على ظهر فلوثر) يا عزيزى !

فلوثر : لابد وأن الاجتماع قد انتهى الآن .

الكوفى : من الخير أن ينتهى سريعا ، انه لعبث فى عبث ، أيها الرفيق .

فلوثر : أوه . لا أوافقك أن الأمر كله عبث ، على أية حال ، يستطيع فلوثر أن يتذكر الوقت الذى لم يكن فيه سوى طفل صغير ، وكانوا يعلمونه وهو فى حجر أمه أن يكون وفيا لحركة « ايرلندا الأم » !

الكوفى : ذلك كله مخدر ، أيها الرفيق ، انها نوع من الأشياء التى تعيش عليها الطبقة البورجوازية .

فلوثر : (فى شىء من الحدة) ما الذى تعتبره مخدرا ؟ سأقول ما لا ينبغى أن يقال : (يمسك خده بيده ، ويجذب جفنه الأسفل) . أترى هـذه

العلامة هنا ، تحت عينى ؟ .. ندبة من أثر سيف تلقيتها من فارس فى شارع أوكنيل ! (يمد رأسه ناحية روزى) تحسسى هذه البطحة فى منتصف رأسى !

روزى : (تدعك رأس فلوثر ، وتغمز بعينها للكوفى) - يا الهى ، يوجد هنا ثقب !

فلوثر : (يرتدى قبعته بكبرياء وهدوء) ضربة من عصا شرطى فى اجتماع عمالى فى حديقة فينيكس !

الكوفى : لابد أنه ضربك خطأ . لا أعلم أنك فعلت شيئا ما فى سبيل الحركة العمالية .

فلوثر : (بصوت مرتفع) ألا تعرف ؟ لعلى اذن فعلت من أجل الحركة العمالية ، وأعرف عنها قدر ما فعله ويعرفه الانتهازيون الذين يثرثرون عنها !

البارمان : تكلم بهدوء يا فلوثر . حاول أن تتكلم بهدوء .

الكوفى : ليس هناك ما يدعوك لأن تنفعل يا رفيق .

فلوثر : (بصوت أكثر ارتفاعا) أتفعل ؟ من ذا الذى ينفعل ؟ لا أحد قد انفعل ! ان الأمر يحتاج لشىء أقوى منك لكى تهتز شعرة من فلوثر .

ان ما تقوله هراء ، رغم كل شىء ؛ اذ أن ما تعرفه

هو ما تعرفه البقية التى تتشدق بهذا الكلام !

الكوفى : حسنا . فلنختبر ذلك اذن ، لنرى ما تعرفه عن الحركة العمالية : ما هى عملية التبادل ؟

فلوثر : (مزمجرا ، اذ يشعر بأنه قد هزم) كيف بحق الجحيم أعرف ما هى ؟ ليس هناك شيء عن ذلك فى لوائح نقاباتنا !

الكوفى : بالله عليك حاول أن تتكلم بهدوء يا فلوثر . ماذا يقول كارل ماركس عن علاقة القيمة بتكاليف الانتاج ؟

فلوثر : (غاضبا) فيم بحق الجحيم يعنينى ما يقوله ؟ انى ايرلندى لدرجة لا تفقدنى رشدى بالسير وراء الأجانب !

البارمان : تكلم بهدوء يا فلوثر .

الكوفى : ان الحديث معك مجرد مضيعة للوقت يا رفيق .

فلوثر : لا تدعنى رفيقا لك يا صاح . ان اليوم الذى أختارك فيه رفيقا سيكون بلا شك آخر يوم فى حياتى .

روزى : (للكوفى) انه لشيء مضحك للغاية أن نستمع الى شيء لا يفترق كثيرا عما يقوله صبى ، وهو

يلوح بكلمات ثقيلة لا يعرف معناها ، ويحاول بغرور أن يحط من قدر رجل كالسيد فلوثر هذا ، الذى تذوق معرفة العالم الذى يعيش فيه .

الكوفى : (لروزى بشراسة) .. ان أحدا لم يسألك أن تتدخلى بثرثرتك .. أنا أفهمك جيدا يا فتاتى .. فقط احتفظى بآرائك لمن هم على شاكلتك .. سوف ينقضى زمن طويل قبل أن يتلقى الكوفى أى تثقيف أو تعنيف من عاهرة !

روزى : (مهتاجة من الاذلال) أيتها الحشرة أيتها الحشرة ، أنت ! .. أنت لست رجلا .. انك لست رجلا .. أما أنا فامرأة على أية حال ، وحتى لو كنت عاهرة فان لى مشاعرى .. كان منذ لحظة يحاول أن يضع ذراعه حولى ، ويتودد الىّ ، والآن فان هذا الشرير البائس ينقلب علىّ ، لأنه رأى انه لا يستطيع أن يفعل شيئا . أيتها الحشرة ، أنت ! لو كنتّ رجلا ، أو كنت أنت امرأة ؛ لمسخت لك وجهك .

البارمان : كفى ، يا روزى ، كفى ! سوف ترغمين على

اغلاق فمك كلية ، اذا كنت لا تستطيعين الكلام بهدوء !

فلوثر : (لروزى) .. مهلك يا روزى ، مهلا .. لا داعى لأن تثيرى نفسك عندما تكونين مع فلوثر .. ان أية سيدة فى صحبة فلوثر ستلقى المعاملة اللائقة .. هذا خارج نطاق اختصاصك .. لن أدعك تحطين من قدر نفسك بالحديث مع انتهازى مهذار .. دعى هذا لفلوثر — فتلك مهمة رجل .. (للكوفى) الآن ، اذا كان لديك أى شىء تقوله فلتقله لفلوثر ، ودعنى أقل لك بأنك لن تهين أية سيدة فى صحبتى ..

الكوفى : بالتأكيد أنا لا يهمنى ان كنت تجرى الليل كله وراء فتاتك ذات الشعر المتموج [1] ، ولكن عندما تبدأ تقص أكاذيبك الطنانة عما فعلته من أجل الحركة العمالية ، حينئذ ينبغى على أن أفضحك !

---

(١) هذه التورية التى تحمل التعريض بروزى ، تشير فى نفس الوقت الى احدى أغانى البالاد : مارى ذات الشعر المتموج . (المترجم) .

فلوثر : (بشراسة) .. أأنت الذى ستفضح فلوثر ؟ اذهب يا رجل ، بوسعى أن أضرب اثنين مثلك قبل افطارى !

الكوفى : (بازدراء) أخبرنا أين تدفن موتاك ، هلا فعلت ؟

فلوثر : (وقد ألصق وجهه بوجه الكوفى) .. قلل من غلوائك ، والا فعندما انتهى منك سوف تنظر للأمور نظرة مسيحية متواضعة ، انى أحذرك !

الكوفى : يا لك من رجل ضخم ..

فلوثر : (يخبط على كتف الكوفى مهددا) .. الآن ، انك تستفز العناية الالهية باستفزاز فلوثر !

الكوفى : (يفقد السيطرة على أعصابه ، ويصيح) أبعد يديك عنى . أبعد يديك ! انك تهم بالمخاطرة عندما تبدأ فى أن تخمش الكوفى ! (فجأة يثب فلوثر فى وسط المحال ، ويقذف بقبعته الى الركن ، وينزع معطفه ويبدأ فى خمش الهواء) .

فلوثر : (مزمجرا بأعلى صوته) .. هيا ، هيا ، أيها القذر ، ألق بقفازك الآن ، ان كانت فيك دماء رجل ! والله ، انك سترى خلال بضع لحظات

اربا قذرة تتطاير حولك ، انى أحذرك .. عندما ينتهى فلوثر من أمرك ستغير رأيك فيه ! هيا ، الآن ، هيا !

البارمان : (يجرى من وراء البار ويمسك بالكوفى) هيا الى الخارج يا صغيرى . ألأنك أخذت كأسين تظن أن بامكانك أن تتصرف كما تحب . (يدفع الكوفى نحـــو البـــاب) .. ان فلوثر صديقى ولن أسمح لأحد باهانته .

الكوفى : (يقاوم البارمان) اى ، دعنى ، دعنى آخـــذ حقى ، دعنى آخذ حقى ! كل ما أطلبه هـــو دقيقة واحدة معه ، دقيقة واحدة أنفرد فيها به بينما تجرى أنت لاستدعاء القس والطبيب .

فلوثر : (للبارمان) دعه ، دعه ، يا توم ! دعه يفتح الباب للموت المفاجىء ان كان يريد !

البارمان : (للكوفى) .. هيا الى الخارج وتشاجر فى مكان آخر .

(يدفع بالكوفى الى الخارج ويعود) .

روزى : (تحضر قبعة فلوثر بينما يرتدى معطفه) بالله ، لقد أوقعت مخافة الله فى قلبه هـــذه المرة !

تصورت انك ستلتحم به حتى نضطر لانتزاعك منـــه .. الطريقة التى قفزت بها دون خشية ! أقول لنفسى ان أمثال فلوثر من الرجال أصبحوا نادرين هذه الأيام .

فلوثر : (برضى مزهو) .. لم أكن أنوى أن أدع نفسى لعدوان انتهازى .. لقد ازدادت وقاحته على فلوثر .. بالله ، أنا لا أتصور كيف يأتى كلب مثل هذا ليتحدث الى رجل مثلى !

روزى : (تثبت له قبعته) .. هل رأيت شيئا كهذا أبدا !

فلوثر : من حسن حظه أنه خرج سالما ، لقد ضربت رجلا فى الأسبوع الماضى يا روزى ، ولم يزل راقدا حتى الآن !

روزى : بالتأكيد ، كنت ستشيطره شطرين لو أنك ضربته ضربة واحدة !

فلوثر : (يحيط روزى بذراعه ، مغازلا) تعالى الى الاستراحة يا حبيبتى الصغيرة ، وسنحتسى بضعة كؤوس قبل أن أوصلك الى بيتك .

روزى : أوه يا فلوثر ، أخشى أن تكون رجـــلا رهيبا بالنسبة للنساء .

(يذهبان الى الاستراحة ، بينما يدخل كليشيرو ، والكابتن برينان ، والملازم لانجون من جيش المتطوعين الايرلنديين فى عجلة . الكابتن برينان يحمل علم المحراث والنجوم ، ويحمل الملازم لانجون علما مثلث الألوان من الأخضر والأبيض والبرتقالى . تتملكهم حالة من الانفعال العاطفى . وجوههم محتقنة وعيونهم تلتمع ، يتحدثون فى سرعة ، وكأنهم لايدرون معنى ما يقولون . لقد استولى على مشاعرهم حماس الخطب) .

كليشيرو : (منبهر الأنفاس) .. ثلاث كؤوس من النبيذ !

(البارمان يحضر الشراب) .

الكابتن برينان: لن يكون علينا أن ننتظر كثيرا الآن .

الملازم لانجون: لقد حان الوقت لقيام الثورة .

كليشيرو : ان لك أما يا لانجون .

الملازم لانجون: ان ايرلندا أعظم من الأم .

الكابتن برينان: ان لك زوجة يا كليشيرو .

كليشيرو : ان ايرلندا أعظم من الزوجة .

الملازم لانجون: ان موعد المعركة الآن ، ومكان معركة ايرلندا هنا .

(يظهر الخيال الطويل الداكن على النافذة ثانية . يصمت الرجال الثلاثة ويصغون) .

صوت الرجل: ان أعداءنا أقوياء ، لكنهم مع قوتهم لا يقدرون على ابطال معجزات الله ، الذى ينضج فى قلوب الشباب البذور التى بذرها شباب جيل ماض . انهم يظنون أنهم قد هادنوا ايرلندا ، يظنون أنهم قد تنبأوا بكل شىء ؛ يظنون أنهم قد تجهزوا لكل شىء ، ولكن يا للأغبياء ، الأغبياء ! الأغبياء ! لقد تركوا لنا موتانا من «الفينيين»[1]، وطالما تضم ايرلندا هذه القبور ، فان ايرلندا المستعبدة لن يكون فيها سلام أبدا ! .

الكابتن برينان: (يرفع علم المحراث والنجوم) السجن فى سبيل استقلال ايرلندا !

اللازم لانجون: (يرفع العلم المثلث الألوان) الجراح فى سبيل استقلال ايرلندا !

كليثيرو : الموت فى سبيل استقلال ايرلندا !

---

(١) اسم عصبة كلتية قديمة من المحاربين ، ولكن المقصود هنا هو الحركة التى قامت لتحرير ايرلندا بقوة السلاح حوالى سنة ١٨٦٠ متخذة التسمية القديمة ، وقد قامت هذه الحركة بثورة فى سنة ١٨٦٧ م ولكنها فشلت . (المترجم) .

الثلاثة : (معا) بعون الله !

(يشربون . يصدر صوت بوق معلنا فض الاجتماع . يسرعون الى الخارج . صمت) .

يخرج فلوثر وروزى من الاستراحة ، روزى متعلقة بذراع فلوثر الذى يبدو ثملا قليلا . الاثنان فى حالة مرح .

روزى : هيا الى البيت يا رجل .. أأنت خائف أم ماذا ؟ هل ستأتى الى البيت أم لن تأتى ؟

فلوثر : طبعا سأذهب الى البيت . وهل هناك شىء يؤلمنى حتى لا أذهب ؟

روزى : (بتودد) هيا ، اذن ، يا عزيزى .

صوت ضابط: (يصدر آوامره فى الخارج) المتطوعون الايرلنديون ، الى اليمين خطوة سريعة .

روزى : (تضع ذراعها حول فلوثر وتغنى) :

كان لى يوما حبيب ، حائك ، لكنه لم يستطع
أن يفعل شيئا من أجلى .
ثم وقعت فى حب بحار قوى وعنيف كالبحر .

كنا نتعانق ، ونقبل بعضنا ، بتعبد حتى يفسر الليل من الصباح ؛

وهناك لفرط بهجتنا ، كان طفل مشرق ملىء بالحيوية .

يرقص رقصة مرحة فى الفراش !

يرقص فى الفراش ،

ويصيح من أجل الزبد والخبز .

وهناك لفرط بهجتنا كان طفل مشرق ملىء بالحيوية

يرقص رقصة مرحة فى الفراش !

(يخرجان وذراع كل منهما حول الآخر) ..

صوت كليثيرو (آمرا فى الخارج) .

كتيبة دبلن بجيش المواطن الايرلندى

يمينا — خطوة سريعة !

ستار

الفصل الثالث

المنزل الذى على الناصية فى أحد شوارع المساكن الشعبية . هو مسكن أسرة كليثيرو .

وهو مسكن شعبى طويل يتكون من خمسة طوابق ، باهت اللون . تشققت واجهته القرمزية وأثر فيها مرور الزمن والاهمال .

باب المدخل الثقيل العريض الذى تسنده دعامتان ، يبدو مسودا وكأن ذلك من لفح نار اشتعلت فيه منذ زمن بعيد .

والباب مائل قليلا على أحد جانبيه ، وقد تخلع من الوصد الشديد الذى يقوم به معظم السكان عند اغلاقه .

أما شراعة الباب الزجاجية فليس بها لوح واحد ، ولم يبق سوى اطارها ، والنوافذ فيما عدا النافذتين اللتين تطلان على حجرة الاستقبال الأمامية (حجرة كليثيرو) .. متسخة ومغطاة بقطع من ستائر الدانتلا متطايرة وقذرة .

نوافذ حجرة الاستقبال الامامية مثبت فيها ستائر فاخرة نسبيا .. هنالك خمس درجات حجرية تؤدى من الباب الى الممر على الشارع . وعلى الجانبين يتفرع سياج ليمنع الناس من السقوط ، وفى زوايا المنزل ناحية الشمال تمتد حارة ضيقة تقطع الشارع الى قسمين وتصله بحارة أخرى من نفس النوع . على ناصية الحارة مصباح من مصابيح الشوارع .

حين ينفرج الستار عن المنزل ترى مسز جوجان وهى تساعد مولسر فى الجلوس على كرسى فى الممر بجانب السياج ناحية الشمال للدرج . ثم تلف شالا حول كتفى مولسر .

بضعة شهور قد انقضت على الفصل السابق .

مسز جوجان: (تنسق الشال حول مولسر) ستعطيك الشمس كل ما فى الدنيا من صحة . بضعة أسابيع أخرى فى هذا الطقس ، ولا تعرفين الى أى حد ستتقدم صحتك .. هل أنت مستريحة الآن ؟

مولسر : (فى ضعف وارهاق) نعم يا ماما ، أنا بخير .

مسز جوجان: كيف تشعرين ؟

مولسر : أحسن يا ماما ، أحسن . لو أن هـذا الاعياء اللعين يذهب ، سأكون بخير .

مسز جوجان: آه ، لو كنت منك لما علقت أهمية كبيرة على ذلك . قد تكون معدتك غير منتظمة .. هـل تحسن تنفسك ، أتعتقدين ذلك ؟

مولسر : نعم ، نعم يا ماما ، أحسن كثيرا .

مسز جوجان: حسنا ، انه تحسن على أى حال .. بعون الله ، ستعافين من هذا . هل تظنين أن رجليك أقوى من ذى قبل !

مولسر : (مغتاظة) .. لا أدرى يا ماما . أظن كذلك .. قليلا .

مسز جوجان: لا بأس ، ان القليل فى حد ذاته شىء ما .. حسبت انى سمعتك تسعلين قليلا أكثر من العادة فى الليلة الماضية .. أتعتقدين ذلك ؟

مولسر : لم أكن أسعل يا ماما ، لم أكن .

مسز جوجان: ظننت أنى سمعتك ، لأنى كنت مستيقظة طول الليل مع طلقات الرصاص . والتفكير فى ذلك الرجل المجنون فلوثر ، وهو يجرى هنا وهناك طول الليل باحثا عن نورا كليثيرو ليعود بها الى البيت عندما سمع بأنها قد خرجت لتتبع زوجها . وقد تملكه الرعب من أنه فى أى لحظة ربما يجىء مترنحا ملفوفا فى الضمادات ، ملطخا من كل ناحية بحمرة دمه . ولا يكاد يترك لنا وقتا لكى نحضر قسا ليسمع آخر همسة من اعترافه الأخير ، بينما تكون روحه تمر خلال بوابة الموت المظلمة الى طريق الموتى العجيب .. انك لا تشعرين ببرد ، أليس كذلك ؟

مولسر : لا يا ماما ، أنا على ما يرام .

مسز جوجان: غطى صدرك جيدا ، لأنه هو الموضع الضعيف فى جسمك .. اذا كان هناك أى خطر ، فسأسرع بك الى الداخل ثانية .. (تنظر الى الشارع) . أوه ، ها هو الكوفى ، والعجوز پيتر يسرعان الخطى . يا الهى القوى ، لابد أن شيئا غريبا يجرى ما دام قد اجتمع الاثنان .

(يدخل الكوفى وپيتر متقطعى الانفاس ، ومنفعلين) .

مسز جوجان: (للرجلين) هل كنتما فى المدينة ؟ هل رأيتما أى أثر لفلوثر أو نورا ؟ كيف تبدو الأحوال ؟ .. لقد سمعت أنهم يطلقون النيران من مبنى البوستة ، وان جثث الجنود الانجليز تمتد أكواما حول عمود نيلسون ، وتمثال پارنل ، وان حجارة الرصف فى شارع أوكنل تكاد تغمرها برك من الدماء .

پيتر : لم نر أثرا لنورا أو فلوثر فى أى مكان .

مسز جوجان: كان ينبغى أن تمنعها بالقوة من الذهاب للبحث عن زوجها .. الله يعلم ما الذى حدث لها — انني دائما أتخيلها ممددة على ظهرها فى احدى

المستشفيات تتوجع من آلام رصاصة أصابتها في مكان حساس ، والراهبات يحاولن حملها على القاء نظرة أخيرة على الصليب !

الكونت : لا نستطيع أن نفعل شيئا . انك لا تستطيعين أن تقحمي نفسك في شارع أوكنل لأن محل تايلر تشتعل فيه النيران .

بيتر : وقد رأينا الفرسان .

الكونت : (مقـــاطعا) يركضون منتصبي الرءوس ، والمهاميز والسيوف تقعقع ، والمزاريق تهتز ، وتبدو كما لو كانت تسأل أنفسها : « أين هؤلاء الملاعين حتى تنخسهم ؟ » عندما انطلقت قذيفة من مكتب البريد فطرحت نصفهم أرضـــا ، ودفعت الباقين الى الركض بعيدا متسائلين الى أى مـــدى يجب أن يذهبوا قبل أن يشعروا بالأمان .

بيتر : (يفرك يديه) « اللعنة » هكذا قلت لنفسي ، يبدو أنه قد جد الجد !

الكونت : واذا بالجنرال بيرز يخرج ومعـــه أركان حربه ويقف في وسط الشارع يقرأ الاعلان .

مسز جوجان: أى اعلان ؟

بيتر : معلنا قيام جمهورية ايرلندية .

مسز جوجان: غير معقول !

بيتر : المدمرة هلجا تطلق مدافعها على « قاعة الحرية » وسمعت أن الناس الذين يقطنون على الميناء قد اضطروا للزحف على بطونهم لحضور الصلاة ؛ والرصاص يتطاير حولهم من مطاحن بولاند .

مسز جوجان: ليباركنا الله ، ترى ماذا ستكون نهاية كل ذلك !

بيسى : (تطل من النافذة العليا) لعلكم راضون الآن ، لعلكم راضون الآن . اذهبوا وأحضروا بنادق اذا كنتم رجالا — چونى أحضر بندقيتك ، أحضر بندقيتك ، أحضر بندقيتك ! انظروا الى المأزق الذى أنتم فيه الآن ، ليس لدى الصبية سيوف الآن ! أوه ، انظروا الى المأزق الذى أنتم فيه الآن !

مسز جوجان: (محذرة بيتر والكوفى) اسش ، لا تردا عليها . انها كلبة انفصالية [1] ! لقد كانت تنشد :

---

(١) "Orangl biteh" اشارة الى الايرلنديين البروتستانت المتطرفين دعاة التبعية الانجليزية وضد اتحاد شمال ايرلندا بجنوبها .

« احكمى يا بريطانيا » . طول الصباح .

بيتر : أرجو ألا يكون قد حدث حادث لفلوثر ، انه عديم الاكتراث .

مسز جوجان: فليستجب الله لرجائك . الليلة الماضية فقط حلمت أننى رأيت نقالة محمولة الى المنزل وقد رقد فيها شخص متصلب وساكن ، ويرتدى ملابس القديس فرانسيس . وبعد ذلك سمعت غمغمة جمع من الناس الذين لا يمكن أن يتصورهم الانسان وهم يتلون صلاة الميت ، وبعد ذلك أظلمت الدنيا بحيث لم يكن نيرى شيء سوى وجه الجثة الأبيض يسطع كزنبق الماء الأبيض طافيا على سطح بحيرة معتمة . وبعد ذلك سال فى سمعى همس خافت يقول : « أوليس هذا الوجه شديد الشبه بوجه فلوثر ؟ » وبعد ذلك انفتحت شفتا الميت فى حركة مرتجفة ، مع أننى لم أكن أسمع فقد عرفت أنهما كانتا تقولان : « يا لفلوثر المسكين ، بعد أن سلم سلاحه أخيرا ، فان روحه المرتجفة

قد رست فى المكان الذى يقرّ فيه الأشقياء ، ويكف المتعبون عن الانزعاج » .

بيتر : (الذى كان قد ارتدى « نظارة » وأخذ يتطلع الى الشارع) هاهما : والله هاهما على وشك أن يحودا عند الناصية ، نورا ، وفلوثر !

الكونتى : لابد أنها قد جرحت أو حدث لها شىء من هذا القبيل ، لأنه يبدو وكأنه يحملها .

(يدخل فلوثر ، ونورا . يضع ذراعه حولها ، ويتقدمها قليلا ، ويكاد يحملها . عيناها مظلمتان وخاويتان ، ووجهها شاحب ومكدود . وشعرها متدل ، وثيابها مغبرة) .

مسز جوجان: (تجرى نحوهما) ليباركنا الله ، هل أنت جريحة يا مسز كليثيرو أو ماذا ؟

فلوثر : آه ، انها بخير يا مسز جوجان ، انها فقط منهكة من المشى ، وبحاجة الى النوم . اذا استراحت الليلة ؛ فستصبح سليمة معافاة . أدخليها واجعليها تنام .

(مسز جوجان لنورا) هل سمعت خبرا عن مستر كليثيرو ؟

نورا : (يتعب) لم أستطع أن أجـــده فى أى مكان يا مسز جوجان . ان أحدا منهم لم يشأ أن يخبرنى أين هو . لقد قالوا لى بأننى قد ألحقت العار بزوجى وبنســاء ايرلندا باستمرارى فى البحث عنه .. قالوا ان النساء يجب أن يتعلمن الشجاعة ، والكف عن الجبن .. أنا التى خاطرت فى سبيل الحب أكثر مما يخاطرون من أجـــل الكراهية .. (ترفع صـــــوتها فى احتجاج متشنج) . ان حبيبى جاك سوف يقتل ، حبيبى جاك سوف يقتل .. ! لسوف يذبح كتضحية من أجل الموتى ! (يبسى من النافذة العليا) . انظروا الى المأزق الذى أنتم فيه الآن ! فليحل الحـــزن بالفتيات اللاتى كن يقبلن ويعانقن أصدقاءهن بينما تسفك الدماء ! .. مالئـات عقولهم بالحكايات الخرافية التى لم تكن لهـا بداية ولكن — ان شاء الله — ستكون لها نهاية سريعة جدا ! .. يحولن المر الى حلو والحلو الى مر، ويطعن من الخلف الرجال الذين يموتون فى الخنادق من أجلهن ! انه لشىء ردىء أن

يحاول أى شخص العبث بالوصايا العشر ، لأن الأحكام تنتظر المستهزئين ، والجلد ينتظر ظهور الحمقى !

(تبتعد عن النافذة وهى تغنى :)

احكمى يا بريطانيا ، بريطانيا تحكم الأمواج ، البريطانيون لن ، لن ، لن يصبحوا عبيدا !

فلوثر : (زاعقا تجاه النافذة) أيتها الحقيرة الجاهلة ، أنت !

مسز جوجان: (الى نورا) سوف يعود اليك سليما تماما ، كما سترين يا مسز كليثيرو ، ففضلا عن ذلك فهنالك كثير من النساء سلمن أبناءهن وأزواجهن لخوض مخاطرة سريعة فى القتال الذى يشنونه .

نورا : لا أستطيع أن أمنع نفسى من التفكير فى أن كل رصاصة تنطلق سوف تنطلق نحو چاك ، وكل رصاصة تنطلق نحو چاك فانها ستنطلق نحوى . ماذا يعنينى من أمر الآخرين ؟ أنا لا أفكر الا فى نفسى فقط .. وليست هناك امرأة تقدم ابنا أو زوجا ليقتل — اذا قلن ذلك فانهن

يكذبن ، يكذبن على الله ، وعلى الطبيعة ، وعلى أنفسهن ! .. قالت لى امرأة سليطة عند المتاريس أن أعود الى البيت وألا أحاول أن أثبط عزم الرجال .. واننى لا أستحق أن أحمل ابنا لرجل يقاتل هناك من أجل الحرية .. خمشتها وأخذت أضربها فى وجهها حتى فرقوا بيننا .. ودفعونى الى الشـــارع ، فلعنتهم — لعنت المتطوعين والأوشاب المتمردين ، ودفعونى الى أن أهذى كالمجنونة فى الشوارع بحثا عن زوجى !

بيتر : عليك أن تتذرعى بالصبر يا نورا . علينا جميعا أن نتحمل المعاكسين والمعذبين فى هذه الدنيا .

الكوفى : لو أنهم كانوا يقاتلون فى ســـبيل أى شىء يستحق ، فاننى لا أرى بأسا .

فلوثر : (الى نورا) لن يحدث شىء فظيع لمســـتر كليثيرو . سوف تجدين فى النهاية أن العكس صحيح .

نورا : أوه ، أنا أعرف أنه أينما يكون ، فان الرغبـــة تراوده فى أن يكون معى . أنا أعرف أنه يتوق الى أن يمرر يده خلال شعرى ؛ وأن يداعب

عنقى ، وأن يتملّس يدى ، وأن يحس بقبلاتى ملتصقة بفمه .. هل هو يقف حيث يكون لأنه شجاع ؟ (فى حدة) ، لا ، بل لأنه جبان ، جبان ، جبان !

مسز جوجان: أوه ، انهم ليسوا جبناء على أى حال .

نورا : (بغضب متوعد) أقول لك ، انهم يخافون القول بأنهم خائفون ! .. أوه ، لقد رأيته ، لقد رأيته ، يا مسز جوجان .. عند المتاريس فى شارع نورث كنج رأيت الخوف يلتمع فى عيونهم جميعا .. وفى وسط الشارع كان هنالك شىء متراكم فى كومة مختلطة فظيعة .. كان وجهه منضغطا فى الحجارة ، وذراعه ملوية حول ظهره .. وكانت كل التواءة فى جسده صرخة ازاء الشىء المريع الذى حدث له .. ورأيت أنهم خائفون من النظر اليه .. وقد ضحك لى بعضهم ولكن الضحكة كانت ضحكة مذعورة .. وصاح بعضهم نحوى ، ولكن الصيحة كانت تحمل ارتعاشة الخوف .. أقول لك انهم كانوا خائفين ، خائفين ، خائفين !

مسز جوجان: (تقودها نحـو المنزل) ادخلى يا عزيزتى ، لو أنكما قضيتما معا مدة أطول قليلا ، لما كان افتراقكما بهذه الحدة .

نورا : العذاب الذى أعيش فيه منذ أن تركتنى قد طرد كل اساءة فعلها ، وكل كلمة قاسـية قالها ، ولا أرى الآن الا الأزهار التى نمت من حياتينا ، ترف ألوانها أمامى ، وتنفث عبيرها الحلو فى كل فكرة تثب الى ذهنى ، حتى أنتى أحيـانا يا مسز جوجان ، أحيانا أعتقد بأننى ساجن !

مسز جوجان: سوف تتحسّنين كثيرا عندما تنامين قليلا .

نورا : تلتفت ناحية فلوثر أثناء دخولها . لست أدرى ماذا كنت أفعل لولا فلوثر ، لولاه لكنت طريحة فى الشوارع ..

(وهى تدخل) لقد انتزعوا منى قسط السعادة الذى وهبتـه لى الحياة . لقد ذهب عنى الى الأبد ، الى الأبد .. أوه ، چاك ، چاك ، چاك !

(تقودها مسز جوجان الى الداخل ، أثناء خروج بيسى التى تضع شالا حول كتفيها ، تمر بهما مرفوعة الرأس . عندما يصبحان

فى الداخل ، تعطى مولسر كوزا من اللبن فى صـــمت) .

فلوثر : من منكما معه قطعتان من البرنز للقرعة [1] ؟

الكوفى : أنا معى .

بيسى : (وهى تمر بهم متجهة فى الطريق الى الشارع) انكم وقادتكم وجنـــود معركتهم الشائنة قد وضعتم النـــاس فى مأزق . واضطررتمونهم للخروج لتصيد كسرة من الخبز ، يعلم الله أين تكون .. لماذا لم تكونوا فى البوستة العمومية اذا كنتم رجالا ؟ [2] .

انكم تزدادون شحوبا .. زمرة من الأفاعى ، هذا هو الشعب الايرلندى !

(تخـــرج)

فلوثر : لا تلقوا بالا اليها .. (للكوفى) تحرك ، وأبعدنا عن خطيئة البطالة . (الى مولسر) حسنا كيف حالك الآن يا مولسر يا بنيتى ؟ ماذا تشربين ، لبن ؟

---

(١) لاستخدامها فى لعبة النقشة .

(٢) كان مبنى البوستة العمومية هو مركز الثورة فى ذلك الحين .

مدهشة ، يا فلوثر ، مدهشة ؛ شكرا . نعم ، أشرب لبن .

فلوثر : ليس بامكانك تناول شيء أفضل من هذا .. هذا التغيير قد أحدث نتيجة طيبة على أية حال ؛ لا يمكنك الحصول على شراب فى أى مكان ، واذا ما استمر ذلك أسبوعا ، فسأعتاد على ذلك حتى أننى لن أفكر فى الشراب .

الكوفى : (الذى يخرج من جيبه قطعتين باليتين من البرنز ، وشقة رفيعة من الخشب يبلغ طولها حوالى أربع بوصات) ما هو الرهان .

بيتر : بنسان اذا ظهرت الرأس .

فلوثر : ستة بنسات اذا ظهرت القيثارة .

(الكوفى يضع قطعتى البرنز على شقة الخشب ، ويقذفهما فى الهواء . وأثناء رنينهما على الارض ، يسمع دوى بعيد لمدفع . يقفون لحظة مصغين) .

فلوثر : ما هذا بحق الجحيم .

الكوفى : كأنه دوى مدفع كبير !

فلوثر : أيعقل أنهم سيستخدمون المدفعية ضدنا ؟

الكوفى : (بازدراء) لن يستخدموا ! (بحدة) ألن يستخدموا أى شىء ضدنا يا رجل ؟

فلوثر : أوه ؛ يا يسوع المقدس ، ليس هذا من الشرف والأمانة فى شىء .

بيتر : (فى حزن) ماذا يحدث اذا ما سقطت قذيفة هنا الآن ؟

الكوفى : (بسخرية) سوف تصعد الى السماء فى عجلة نارية .

بيتر : رغم كل التحذيرات التى تجلجل من حولنا ، هل ستبدأ فى مشاكساتك لى مرة أخرى ؟

فلوثر : استمر ؛ اقذفهما مرة أخرى ، اقذفهما مرة أخرى .. ستة بنسات اذا ظهرت القيثارة .

بيتر : بنسان اذا ظهر الرأس .

(يقذف الكوفى بقطعتى البرنز) .

فلوثر : (أثناء سقوط النقود) دعها تتدحرج ؛ دعها تتدحرج . الرأس ، والله !

(بيسى تعود الى الداخل منفعلة . تضع قبعة جديدة على رأسها ، وفراء ثعلب حول رقبتها على الشمال ، وثلاث مظلات تحت ذراعها اليمنى ، وصندوقا من

البسكويت تحت ذراعها اليسرى . تتكلم بسرعة متقطعة الأنفاس) .

بيسى : انهم يقتحمون الحوانيت ، انهم يقتحمون الحوانيت ! يحطمون النوافذ ، يدكون الأبواب ، وينهبون كل شيء ! والمتطوعون يطلقون النيران عليهم . رأيت رجلين وفتاة يدفعون « پيانو » الى الشارع ، والعرق يسيل منهم ؛ وهم يحاولون أن يرفعوه فوق الرصيف ؛ وامرأة عجوز لابد وأنها فى السبعين تبدو وكأنها سوف تسقط بين دقيقة وأخرى من أثر دقات قلبها المتلاحقة ، وهى تحاول أن تجذب سريرا كبيرا من نافذة العرض فى أحد الحوانيت المحطمة ! لقد كنت أنوى أن أنتظر حتى اكتسى تماما .

مولسر : (الى بيسى أثناء دخولها) ساعدينى على الدخول يا بيسى ، فاننى أشعر بالوحدة .

(تترك بيسى الأسلاب فى المنزل ، وتعود مسرعة لمساعدة مولسر على الدخول) .

الكوفى : يا لأنانية هذه المرأة — لقد انتظرت حتى حصلت على كل ما يمكنها حمله قبل أن تأتى لتخبر أى أحد !

فلوثر : (يجرى الى باب المنزل ويصيح على بيسى فى الداخل) اى ، بيسى ، هل سمعت عن أى بار تحطم ؟

بيسى : (فى الداخل) لم أسمع عن أى منها .

فلوثر : (فى ثورة حماس) حسنا ، سوف تسمعين عن واحد قريبا !

الكوفى : هيا يا رجل ، ولا تضيع الوقت .

بيتر : (اليهما ، وهما يهمان بالانطلاق) .. ايه ، ايه ، هل تنويان تركى هنا ؟

فلوثر : هل تنوى أن تترك نفسك هنا ؟

بيتر : (بقلق) ألم تسمعا قولها بأنهم كانوا يطلقون النار عليهم ؟

الكوفى وفلوثر : (معا) حسنا ؟

بيتر : ماذا لو حدث وقتلت ؟

فلوثر : سنقوم بدفنك وفقا للطقوس المسيحية ، على أى حال .

الكوفى : (فى سخرية) مرتديا زيك العسكرى .

بيتر : (للكوفى منفعلا) أسأل الله الرحمن أن يصيبك

بضربة حامية فى يوم من هذه الأيام .. يا صديقى الكوفى ، بما أنك تدفع فلوثر الآن الى منازلتى ، والى أن يعترضنى بسخرياته وتهكمه !

(تدخل فى عجلة امرأة ضخمة فى منتصف عمرها ترتدى ثيابا عصرية ، وتتجه نحو الجماعة . يكاد يغمى عليها من الخوف) .

المرأة : ناشدتكم الله ، هل لأحد منكم أيها الرجال الطيبون أن يرينى طريقا آمنا يوصلنى الى راثماينز ؟ .. لقد كنت من الحمق بحيث أقوم بزيارة صديقة معتقدة أن الأمر كله دعابة ، والآن فاننى لا أستطيع أن أجد عربة أو تراما ليذهب بى الى البيت — أليس ذلك فظيعا ؟..

فلوثر : يا مدام أخشى أن تكون الطرق جميعا سواء .

المرأة : وماذا عساى أن أفعل . أليس ذلك فظيعا ؟ .. اننى أختلف كثيرا عن الآخرين .. فى اللحظة التى أسمع فيها طلقة فان رجلىّ تعجزان عن حملى .. لا أستطيع الحركة ، أصبح مشلولة .. أليس ذلك فظيعا ؟

فلوثر : (يتحرك مبتعدا) انه أمر فظيع حقا .. يا مدام .

المرأة : (تمسك بمعطف فلوثر) وأنا أزحف على طول الشارع هناك ، ورأسى منخفضة ، وعينـاى نصف مغلقتين ، عبرت رصاصة تئز على بعـد بوصة من أنفى .. فاضطررت أن أسـتند على الحائط فترة طويلة ، متقطعة الأنفاس .. كدت أن أموت .. كان ذلك فظيعا ! .. انني أتساءل ، أيها الرجال الطيبون هـل لكم أن تصحبونى جزءا من الطريق ، لتضمنوا لى أن أصـل سالمة ؟

فلوثر : أنا مضطر الى الذهاب يا سيدتى ، لأحاول أن أنقذ بعض الأشياء من الأبنية المحترقة .

الكوفى : هيا بنا اذن ، والا فلن يتبقى شىء لكى تنقذه .

(الكوفى وفلوثر يسرعان الى الخـارج) .

المرأة : (لبيتر) ألم يكن شيئا فظيعا بالنسبة لى أن أترك منزل صديقتى ؟ ألم يكن من الحمق أن أفعل ذلك ؟ .. لم تكن لدى أدنى فكرة أين أنا .. تبدو فى ملامحك الطيبة يا سيدى . هل بامكانك أن تأتى وتقودنى فى اتجاه راثماينز ؟

بيتر : (فى سخط) هل تظنين أننى سأخاطر بحياتى راكضا أمامك ؟ وربما أتلقى رصاصة تصيبنى بالعرج أو شىء ما يتركنى هزأة وأضحوكة لفلوثر وذاك الشاب الكوفى بقية حياتى ؟

(يدخل المنزل وهو يهز رأسه فى سخط) .

المرأة : (خارجة) أنا أعرف أننى سوف أقع فى اغماءة مميتة لو سمعت طلقة أخرى تنطلق فى أى اتجاه قريبا منى .. أليس ذلك فظيعا !

(تخرج مسز جوجان من المنزل ، وهى تدفع أمامها عربة أطفال) .. عندما تبلغ الشارع ، تندفع بيسى خارجة ، وتمسك بالعربة مانعة مسز جوجان من السير) .

بيسى : انتظرى ؛ أين تذهبين بهذا ؟ ما أشد سرعة انتباهك للعربة يا سيدتى .. ربما لا تعرفين أن مسز سوليفان ؛ قبل أن تذهب لقضاء عيد الفصح مع ذويها فى « دنبوين » ؛ قد أعطتنى أوامر صارمة أن أنظر بين لحظة وأخرى لأرى اذا كانت ما تزال فى مكانها الذى تركتها فيه فى ركن الممشى .

مسز جوجان: ملاحظتك هذه يا مسز بيسى بيرجس تحتاج الى قليل من الالتفات لترين أن العربة كانت متروكة فى ممشانا ، وليست فى ممشاك ، على مسافة قدم أو أقل من قدمين ناحية الشمال من كتف باب حجرتى الخاصة . كما أنه ليست هنـاك حاجة لذكر اسم الشخص الذى كان أول شىء فعله فى الصباح أن اختلس نظرة ليرى ما اذا كانت فى مكانها . وكان ذلك أيضا آخر شىء فعله فى سكون الليل ، متأكدة ان نظـرتها لا يمكن أن تخطىء ، بأن تمد ذراعها وتتحسس العـربة ، لتتأكد من أن بصرها لم يخدعها ! وفوق ذلك فان شـيئا ما ينبئنى بأن التعجل الشديد فى اهتمامك بها الآنهو طمع مفاجىء فى استخدام العربة فى غرض تنأى عنه امرأة مطيعة للقانون والنظام !

(تدفع العـربة بصـورة مفاجئة تجذب بيسى الى الأمام) .

بيسى : (لا تزال تمسك بالعربة) لا يوجد أى شخص فى المنزل لا يعرف أن بيسى بيرجس لم تكن هى

التى ترفع صوتها دائما ، متذمرة من النـاس الذين يتركون عربات الأطفال فى طريق أولئك الذين يدفعون الايجار ولو أنهم يقضون أسبوعا فى المنزل وأسبوعا فى الخارج ، وانها دائما كانت تواظب على حفظ أثاثها فى حجرتها الخاصة .. وفيما يتعلق بالقـانون والنظام ، دعى جانبـا « القيثارة » و « الشـمرك » [1] ، فان بيسى بيرجس سوف تكن احتراما بالقدر الذى تريد للأسد ووحيد القرن ! [2] .

بيتر : (يظهر عند الباب) أظن أنى سأذهب معكما للفرجة ، فان بامكان المرء أن ينتهز الفرصة على أى حال .

مسز جوجان: (لا تلقى بالا لبيتر ، وتدفع العربة خطوة أخرى) .. أبعدى يديك الغليظتين الكبيرتين عن لمس العربة ، اذا سمحت يا مدام ، ودعينى أقول لك — متجاوزة حد السلوك الحميد — يا مسز

---

(١) القيثارة والشمرك ، وهى زهرة مثلثة الأوراق ، هما شعار الايرلنديين القومى .

(٢) شعار التـاج الانجليزى .

بيرجس ؛ انه مما يدهش چيني جوجان كثيرا أن مغنية ممتازة للأناشيد الدينية مثلك تهبط بأفكارها من التفكير السماوى لتمد ذراعها بطريقة المحتال لتسرق أى شيء تائه فى فوضى المعركة التى يشنها أبناؤنا من أجل حرية وطنهم !

بيتر : (يضحك ويفرك يديه معا) .. هيء ؛ هيء ؛ هيء ، هيء ، هيء ! سأذهب معكما وأساعدكما .

مسز جوجان: (بلفتة سريعة من رأسها وهى تدفع العربة الى الأمام) .. اصعد الى العربة وسندفعك .

بيسى : (لمسز جوجان) .. ان العوز والمتاعب قد بعث بيسى بيرجس على البقاء مع رفقة غريبة ، لكنها تعرف دائما أولئك الذين عليها أن تعيش معهم من وقت النوم حتى الصباح ، وتستطيع أن تخبرهم ، وفى ضميرها دائما ندم مسيحى ، أن حب السرقة والاختلاس سيجعل روحها فى غربة ، وأن نيتها الآن هى النية الطيبة لالتقاط أى شيء ملقى به ومبعثر فى فوضى حالة النهب !

(فى هذه الاثناء يختفيان عن النظر . بيتر يتبعهما عندما يدوى مدفع كبير على البعد فيدفعه على التوقف) .

بيتر : يا الهى القدير ، هذا هو المدفع الكبير مرة أخرى ! يا الهى لتمنع عنهم أى أذى يلحق بهم ، ولكننى لا أرى بأسا اذا ما مسهم قليل من الأذى أثناء محاولتهم المتهورة للنهب والتدمير .

(ينظر لحظة الى الشارع ، ثم يجرى الى باب صالة المنزل الذى كان مفتوحا ، ويغلقه بدفعة حاقدة ، ثم يتجه الى الكرسى الذى كانت تجلس فيه مولسر ، ويجلس ، ويخرج غليونه ، ويشعله ويبدأ فى التدخين ورأسه منتصب فى وضع متكبر . الكوفى يقبل مترنحا وهو يحمل على ظهره حقيبة من الدقيق تزن عشرة أرطال وعليها قحف خنزير ، يمشى نحو الباب ويدفعه برأسه ، ويجد أنه لا يستطيع أن يفتحه ، يدور قليلا ناحية بيتر) .

الكوفى : (لبيتر) من الذى أغلق الباب ؟ .. (يركل الباب بقدمه) هيا تعال ، وافتح ، أرجوك ؟ انها ليست حقيبة يد فتاة تلك التى أحملها على ظهرى .

بيتر : الآن ، يا صديقى الكوفى ، أتظن أنى سأصبح خادما لك ؟

الكوفى : (بغضب) هل ستفتح الباب ، أيها —

بيتر : (صائحا) لا تسألنى أن أفتح أى باب ، لا تسألنى أن أفتح أى باب لك .. يا من تجلب العار والخطيئة للقضية التى يحارب من أجلها الرجال الطيبون .. أوه ، يغفر الله للناس الذين بدلا من أن يمجدوا العمل الذى يؤديه الفتيان اليوم بأمانة وصبر فى صمت ، يهينون تضحياتهم بفوضى النهب والاحتيال !

الكوفى : ألا تكاد عيناك تقفزان من رأسك حسدا لأنك ليست لديك الشجاعة لتنال قليلا من الأشياء التى يعطيها الله لعباده المختارين ؟ .. أيها المنافق العجوز لو أصاب الناس العمى لسرقت صليبا من على ظهر حمار !

بيتر : (بهدوء بالغ) لن تجعلنى أفقد أعصابى ، تستطيع أن تستمر فى وخزك بقدر ما تجب ، افعل ما فى وسعك ، هىء ، هىء ، هىء ! لن أفقد أعصابى .

(يفتح شخص ما الباب ، ويدخل الكوفى)

الكوفى : (من الداخل ساخرا) .. كوكوو .. وو !

بيتر : (يجرى الى الباب ويصيح بانفعال ملتهب ، وهو يتبع الكوفى الى الداخل) أيها اللقيط القذر النحيف الطويل كلوح الخشب .. (يتبعه الى الداخل) اللقيط القذر ، اللقيط القذر !

(تدخل بيسى ومسز جوجان ، تضىء وجهيهما خيلاء فرح عظيم . بيسى تدفع العربة ، المملوءة بالثياب والأحذية ، فوق الأحذية والملابس منضدة مزخرفة تمسكها مسز جوجان بيدها اليسرى بينما تمسك بيدها اليمنى كرسيا فوق رأسها .. تسمعان وهما تتحدثان معا قبل أن تدخلا .

مسز جوجان: (بالخارج) .. لا أذكر أننى قد رأيت أبدا أحذية فى مثل هذا الجمال (تظهران) ببوز مدبب وكعوب مربعة .

بيسى : ستبدو عظيمة مع الثياب التى نصلحها ، عندما ننتهى من حياكة قطعة من الحرير لرفع الصدر قليلا الى أعلى ، حتى تكون محتشمة وتصبح مناسبة لنساء لم ينسين أنفسهن فى عرى هذا الزمان .

(تحملان الكرسى والمنضدة وبعض البضائع الاخرى الى الداخل فى جلبة ، ثم تعودان لاحضار البقية) .

بيتر : (عند الباب ، فى مرارة لمسز جوجان) .. أى ، أنت .. مولسر تبدو وكأنما سيغمى عليها ، وصغيرك يصرخ متشنجا فى حجرها .

مسز جوجان: (فى حدة) .. انها لا تبدو الا فى حالة اغماء !

(تهم بالدخول وبين ذراعيها بعض الأشياء عندما ترن طلقة بندقية .. تركض هى وبيسى نحو الباب الذى يحاول بيتر فى حالة ذعر اغلاقه قبل أن تدخلا) .

مسز جوجان: اى ، اى .. اى . أيها العجوز الأحمق الجبان ، ما الذى يدعوك لأن تحاول اغلاق الباب دوننا ؟

(تتراجعان الى الداخل فى هرج . (صمت) ثم يدخل الكابتن برينان وهو يسند الملازم لانجون الذى يلف ذراعه حول رقبة برينان . وجه لانجون يبدو شاحبا كالموتى ، ويتقلص بين لحظة وأخرى فى تشنجات متألمة . وهو فى حالة من الانهيار ، ويكاد برينان يحمله . بعد لحظات قليلة يتبعهما كليثيرو ، شاحبا ، وفى حالة من العصبية الساكنة ، يتلفت وراءه الى

الناحية التى جـاء منها ، وفى يديه بندقية فى وضع الاستعداد .

الكابتن بريتان: (لكليثيرو فى عنف) .. لماذا أطلقت النار فوق رءوسهم ؟ لماذا لم تطلق النار لتقتل ؟

كليثيرو : لا ، لا ، يا بل ، مهما بلغوا من السوء فهم رجال ايرلنديون ونساء ايرلنديات ..

الكابتن بريتان: (فى عنف) اللعنـة على كل شىء ايرلندى ! يهاجمـون ويفتكون بالرجال الذين يخاطرون بحياتهم من أجلهم . لو تجمهر حثالة الأكواخ هؤلاء حول أقدامنا مرة أخرى ، فأخمد واحدا منهم ، والا فاننى سأصدمهم بنفسى على الفور بطلقة أو طلقتين !

اللازم لانجون: (متوجعا) يا الهى ، أليست هناك البتة عربة اسعاف تتجـول فى أى مكان ؟ .. ان معدتى تنخلع ، أحس بها — أو أو — ه ، يا يسوع !

الكابتن بريتان: كن شجاعا يا چيم ، لن نلبث أن نجد المعونة الآن .

(نورا تندفع بوحشية من المنزل وتلقى بذراعيها حـول رقبة كليثيرو ، باصرار عنيف ومبتهج .. شعرها مسدل ، ووجهها

شاحب ، لكن عينيها تومضان بوميض الراحة السعيدة .

نورا : چاك ، چاك ، چاك ، شكرا لله .. شكرا له . لقد كان شـــفوقا ورحيما بخادمته البائسة .. حبيبى چاك ، حبيبى چاك الذى ظننت أنه فقد ، قد وجدته ، الذى ظننت أنه مات قد بعث من جديد ! .. أوه ، الحمد لله على الدوام ، على الدوام ! .. يا حبيبى چاك المسكين .. قبلنى ، قبلنى يا چاك ، قبل حبيبتك نورا !

كليثيرو : (يقبلها ، ويتكلم بعصبية) .. حبيبتى نورا ، حبيبتى نورا ، الصغيرة ، الجميلة ، تمنيت على الله أننى لم أتركك أبدا .

نورا : لا أهميـــــة لذلك .. ليس الآن ، ليس الآن يا چاك .. سوف يجعلنا ذلك أكثر محبة لبعضنا من ذى قبل .. قبلنى ، قبلنى مرة أخرى .

كليثيرو : الآن ، بربك ، لا تجعلينا نتشاجر .

نورا : لن أفعل ، لن أفعل ، أعدك ، أعدك ، يا چاك ، ليشهد الله ، سأظل ساكنة وشجاعة لكى أحتمل بهجة الاحساس بأنك فى أمان بين ذراعىّ مرة

أخرى .. انه لصعب أن أمنع دموع السعادة أن تنطلق بعد نهاية عذاب رهيب .

بيسى : (من النافذة العليا) .. ان الصبية المغنيين [1] لا يشعرون براحة شـديدة الآن . لقد أطارت المدافع كل القيثارات من أيديهم . ان الجنرال كليشيرو يفضل أن يفك مشد زوجته بدلا من الوقوف عنـد المتاريس .. والأستاذ فى ذبح الفراخ الواقف هناك يجد أنه يقف ضد شىء أشد خشونة من فراخه ، وهذا يعنى الكثير !

الكابتن برينان: (الى أعلا متحدثا الى بيسى) اخرسى أيتهـا العجوز الشمطاء !

بيسى : (الى أسفل متحدثة الى برينان) اخنق الفرخة ، اخنق الفرخة ، اخنق الفرخة !

الملازم لانجون: ناشدتك الله يا « بل » احملنى الى مكان حيث يوجد من يعنى بجرحى .. هل سأموت قبل أن يتفعل شىء لانقاذى ؟

---

(١) تقصد المتمردين ، وتلمح الى احدى اغانيهم التى تدعى The Min trel boy وكلمة Min trel كانت تطلق فى العصور الوسطى على المغنى أو الموسيقى وما تزال تحمـل معناها فى بعض الاستخدامات الحديثة . (المترجم) .

الكابتن برينان: (لكليثيرو) تعال يا جاك ، علينا أن نأتى بنجدة لجيم ؛ هيا .. ألا تفكر فيما هو فيه من ألم ، وخطر ؟

بيسى : اخنق الفرخة ، اخنق الفرخة ، اخنق الفرخة !

كليثيرو : (لنورا) خل عنى يا حبيبتى ، دعينى أذهب .

نورا : (متشبثة به) كلا ، كلا ، كلا ، لن أدعك تذهب ! هيا ، اصعد الى بيتنا يا جاك ، يا حبيبى ، يا غرامى ، يا زوجى ، ولسوف تنسى بضعة الأيام الماضية الفظيعة ! .. أنا أبدو متعبة الآن ؛ ولكن بضع ساعات من الراحة السعيدة فى ذراعيك . سوف تعيد النضارة الى مرة أخرى ، وسوف تصبح مسرورا ، سوف تصبح مسرورا ، مسرورا .. مسرورا ! .

اللازم لانجون: لو أننى فقط ظللت راقدا فترة أطول ، فلربما كنت لم أصب ! لقد هرب كل انسان ، ولكننى شعرت بأن بطنى قد تمزقت الى شطرين .. لم أستطع أن أصرخ ، لم أستطع حتى أن أصرخ .. هل تظن أننى حقا قد جرحت جرحا بالغا ، يا بل ؟ ثيابى تبدو وكأنها مبتلة جدا ..

انه دم .. يا الهى ، لابد أنه دمى أنا !

الكابتن بريتان: (الى كليثيرو) هيا يا جاك ؛ قل لها وداعا مع قبلة أخرى ، وضع نهاية لهذا ! هل تريد للانجون أن يموت بين ذراعى بينما أنت تغازل عزيزتك نورا ؟

كليثيرو : (لنورا) .. يجب أن أذهب ، يجب أن أذهب يا نورا . آسف لأننا تقابلنا على الاطلاق .. لا يمكن منع ذلك — كل الطرق الأخرى قد سدها البريطانيون .. دعينى أذهب ، ألا تستطيعين يا نورا ؟ هل تريدننى أن أخذل رفاقى ؟

نورا : كلا ؛ لن أدعك تذهب .. أريدك أن تكون مخلصا لى ، يا جاك .. أنا أعز رفيق لك ؛ أنا أخلص رفاقك .. انهم فقط يريدون العزاء فى أن يلقوا بك فى نفس الخطر مثلهم .. أوه ؛ يا جاك ، أنا لا أستطيع أن أدعك تذهب !

كليثيرو : لابد أن تدعينى أذهب يا نورا ؛ لابد من ذلك .

نورا : طوال الليلة الماضية عند المتاريس بحثت عنك يا جاك .. ما فكرت فى الخطر .. كنت فقط أفكر

فيك .. لقد سألت عنك فى كل مكان .. بعضهم سخر منى .. وكانوا يدفعوننى فكنت أدفعهم .. بل ان بعضهم قد لطمنى .. فكنت أصرخ ؛ وأصرخ هاتفة باسمك ! .

كليثيرو : (فى خوف من أن فعلها قد يجلب عليه العار فى المستقبل) ما الذى دهاك لتجعلى من نفسك موضع سخرية الناس ، كهذا ؟ .. ماذا تظنين سوف يكون شعورى عندما يقال لى ان زوجتى كانت تدلّل على عند المتاريس ؟ ماذا تكونين أكثر من أى امرأة أخرى ؟

نورا : ليس أكثر ، ربما ، ولكنك بالنسبة لى أكثر من أى رجل آخر يا چاك .. أنا لم أكن أقصد أى أذى ، صدقنى ، يا چاك .. كان ذلك بالرغم منى .. ما كان ينبغى لى أن أخبرك .. حبى لك جعلنى أجن من الرعب .

كليثيرو : (فى غضب) .. انهم سيقولون الآن بأننى قد دفعتك على الخروج لأجد مبررا لاعادتك الى البيت .. أتريدين أن تجعلى كل المخاطر تتحول الى مواضع للسخرية ؟

اللازم لانجون: دعنى أرقد ، دعنى أرقد يا بل ، فقد يسهل احتمال الألم وأنا راقد .. أوه ، يا الهى كن رحيما بى !

الكابتن بريننان: (للانجون) بضع خطوات أخرى يا چيم ؛ بضع خطوات أخرى ، حاول أن تتحمل ذلك ، بضع خطوات أخرى .

اللازم لانجون: أوه ، لا أستطيع ، لا أستطيع ، لا أستطيع !

الكابتن بريننان: (لكليثيرو) .. هل أنت قادم يا رجل ، أم أنك تقوم بعمل الترتيبات لشهر عسل آخر ؟ اذا كنت تنوى أن تهجر الجيش ، فقل ذلك ، ولسوف نخرج !

بيسى : (من فوق) هاربون من الجنود الانجليز .. اختفوا الدجاج .. هاربون من الجنود الانجليز .. اختفوا الدجاج !

كليثيرو : (فى عنف لبريننان) عليك اللعنة يا رجل ، من الذى يريد أن يهجر الجيش ؟

(لنورا) هيا .. خلى عنى ، دعينى ، أقول لك !

نورا : (متشبثة بكليثيرو ، ومشيرة لبريننان) .. انظر يا جاك ، انظر الى الغضب الذى فى وجهه ، انظر

الى الخوف الذى يلتمع فى عينيه .. هو نفسه خائف ، خائف ، خائف ! .. انه يريدك أن تذهب بالطريقة التى يحتمل معها أن يصيبك الموت ويخطئه هو ! .. التفت وانظر اليه يا جاك ؛ انظر اليه ؛ انظر اليه ! .. ان أعماق روحه باردة .. ترتعد من التفكير فيما قد يحدث له .. ان خوفه هو الذى يحاول أن يفزعك ويقف حائلا دون ادراكك الخوف الذى يعتمل فى قلبك أنت !

كليثيرو : (يجاهد أن يخلص نفسه من نورا) .. عليك اللعنة يا امرأة .. ألا تتركينى أذهب !

الكابتن برينان: (فى عنف لكليثيرو) .. لماذا تتضرع اليها أن تتركك تذهب ؟ هل أنت خائف منها ؛ أم ماذا ؟ أبعدها عنك يا رجل ؛ أو انهض واجلس على حجرها !

(يحاول كليثيرو أن يبعدها عنه بعنف) .

نورا : (فى ضراعة) .. أوه ، يا جاك .. جاك .. جاك !.

اللازم لانجون: (بألم شديد) .. برينان ، أريد قسا ؛ أنا أموت فيما أعتقد ؛ أنا أموت !

كليشيرو : (لنورا) .. اذا كنت لا تريدين أن تفعلى ذلك فى هدوء ، فاننى سأضطرك لذلك !

(لبرينان) . هيـــا أمسك أنت هـــذه البندقية ، دقيقة واحدة) .

(يناول برينان البندقية) .

نورا : (بطريقة تدعو للرثاء) .. أرجوك يا چاك .. انك تؤلمنى ، چاك .. صـــدقنى .. أوه ، انك تؤلـ ..نى ! .. لن أتركك ، لن ، لن ! .. أوه ، يا چاك ، لقد وهبتك كل شىء طلبته منى .. فلا تلق بى بعيدا عنك الآن !

(يخلص قبضتها فى خشونة ، ويدفعهـــا بعيدا عنه .. تخر « نورا » على الأرض وترقد هناك) .

(فى ضعف) .. آه ، يا چاك .. چاك .. چاك !

كليشيرو : (يسترد بندقيته من برينان) .. هيا بنا ، هيا بنـــا .

(يخرجون .. تنظر بيسى الى نورا الراقدة فى الشارع لبضـــع لحظـــات ، ثم تترك النافذة ، تخرج وتجرى نحو نورا ، ترفعها بين ذراعيها وتحملهـــا فى رقة الى المنزل . فترة صمت قصيرة ، ثم تسمع من الشارع

صرخة عنيفة لسكران .. يقترب ، ثم يدخل فلوثر محموما ، وحشى العينين ، مجنونا ، صاخبا ثملا . بين ذراعيه اناء خزفى مليء بالوسكى .. سعته نصف جالون ، يبرز من أحد جيوب معطفه ذراع قميص جديد ، وعلى رأسه قبعة نسائية زرقاء زاهية بشرائط ذهبية ، وكلها مسروقة .

فلوثر : (يغنى بطريقة محمومة) فلوثر فتى عظيم جدا !.. فلوثر فتى عظيم جدا .. يحيا المتمردون ! .. ذلك شيء لا يستطيع أن ينكره أحد ! (يطبل على الباب) ليحضر لنا بعضكم ، أو أحدكم ، قدحا أو ابريقا ، أو شيئا ما ، هل ستفعلون ، قبل أن أصرع واحدا منكم ! .. (ينظر الى الشارع) . اصخبوا ، وأطلقوا النيران فلن يهم فلوثر شيء .

(يدق الباب بعنف) . لينزل أحدكم ويفتح الباب ، واحد منكم ؛ هل ستفعلون قبل أن أصرع واحدا منكم ! ... فلتهو المدينة كلها الى الجحيم ، من أجل فلوثر !

(تسمع فى داخل المنزل صرخة تطلقها نورا ، يتبعها أنين) .

(فلوثر يغنى فى غيظ) :

ذلك شيء لا يستطيع أن ينكره أحد ، ذلك شيء لا يستطيع أن ينكره أحد ،

لأن فلوثر فتى عظيم جـدا .. لأن فلوثر فتى عظيم جدا .

فلوثر فتى عظيم جدا .. يحيا المتمردون !

ذلك شيء لا يستطيع أن ينكره أحد !

(تتسبب حركاته المهتاجة فى اراقة بعض الويسكى من الاناء) .

عليك اللعنة يا فلوثر ، لا تسكب الخمـر النفيسة ! .

(يركل الباب) .. اى ، ليحضر لنا أحـدكم أو بعضكم قدحا أو ابريقا أو شيئا ما . قبل أن أصرع واحدا منكم !

(ينفتح الباب فجأة ، وتخـرج بيسى ، وتقبض عليه من ياقته) .

بيسى : (فى غيظ) . أيها الحقـير ، كف عن هـذا العبث .. سأخلصك من ألاعيبك ورقصـاتك المخمورة فى الوقت الذى لا يعرف أحـد فينا

متى نصطدم بعالم لا عهد لنا به من قبل !

فلوثر : (وهى تجذبه الى الداخل) اى ، الجرة ، الجرة ، الجرة !

(فترة صمت قصيرة ، ثم تسمع مرة أخرى صرخة ألم تنبعث من نورا .. يفتح الباب ، فترى مسز جوجان وبيسى واقفتان عنده) .

بيسى : فلوثر سيذهب ، انه فقط قد أسرف فى الشراب .. أوه ، يا الهى ، أو ليس مؤسفا أنه ثمل بهذه الدرجة ! علينا أن نحاول احضار طبيب من مكان ما .

مسز جوجان: أنا أخاف أن أذهب .. والى جانب ذلك فحالة مولسر سيئة جدا . لا أظن انكم تجدون طبيبا يقبل أن يجىء .. لا تكاد تكون هناك فائدة من الذهاب .

بيسى : (فى تصميم) .. سأغامر بذلك .. أعطوها قليلا من ويسكى فلوثر .. انه الخوف الذى جعلها تتدهور بهذه السرعة .. عودى اليها ، أنت .

(تدخل مسز جوجان ، وتغلق بيسى الباب فى رفق . تتحرك الى الأمام ، بينما

صوت طلقات بندقية ، وصوت طلقات لمدفع رشاش بعيد يوقفها فجأة ، تحجم لحظة ثم تحبك شالها حول جسمها ، كأنما هو درع ، ثم تمضى الى الخارج فى ثبات وسرعة) .

بيسى : (وهى خارجة) . أوه ، يا الهى ، كن أنت معينى فى وقت الشدة وظللنى بسلام فى ظل أجنحتك .

ستار

الفصل الرابع

حجرة جلوس بيسى بيرجس . وهى احدى حجرتين صغيرتين فى الطابق الأعلى (الاخرى ناحية اليسار تستخدم كحجرة نوم) . السقف ينحدر من الخلف الى الأمام معطيا الشقة مظهرا من الضيق المضغوط . فى وسط السقف نافذة صغيرة . يوجد جو واضح من الفقر الذى يكاد يصل الى حد الاملاق . الورق الذى يغطى الجدران قد تمزق وتلطخ ، وخاصة قرب المدفأة حيث يجرى الطهى وقرب المغسلة حيث يجرى الغسيل . المدفأة تقع ناحية اليسار . مقعد صغير قرب المدفأة . الى الخلف نافذة صغيرة . أحد مصراعى هذه النافذة كسر من أثر اختراق رصاصة . تحت النافذة الى اليمين نعش من خشب البلوط موضوع على مقعدين من مقاعد المطبخ . بالقرب من النعش مقعد بدون مسند مصنوع محليا عليه شمعتان موقدتان . الى جوار النافذة خزانة أوان بالية عليها عدد قليل من الصحون . تتدلى على النافذة بقايا مهلهلة من ستائر الدانتيلا الرخيصة . بالقرب من النافذة ناحية اليسار مصباح بقاعدة نحاسية وعليه غطاء ملون ، وقرب النافذة نفسها علق على الحائط ثوب حريرى قرمزى زاه ، والمصباح والثوب كلاهما مسروق . الى اليسار باب يؤدى الى غرفة النوم وفى مواجهته باب آخر يفتح على بقية البيت . الى يسار هذا الباب حوض غسيل مشترك .

ابريق من الصفيح ، شديد السواد ، ووعاء قديم للطهى داخل حاجز المدفأة . ليس فى الحجرة ضوء فيما عدا الضوء المنبعث من الشمعتين ومن المدفأة .

الفسق حل منذ فترة ، ويمكن رؤية وميض الأبنية المحترقة فى المدينة من خلال النافذة على الأفق البعيد .

الكوفى وفلوثر يلعبان الورق ، جالسين على الأرض على ضوء الشمعتين الموضوعتين على المقعد قرب النعش .

يرتفع الستار على الكوفى وهو « يفنط » الورق ، وبيتر يجلس بطريقة جامدة وقورة بجواره . وفلوثر راكع بجانب النافذة ينظر منها فى حذر .

بضعة أيام تنقضى بعد الفصل السابق

فلوثر : (يطل خلسة من النافذة) فنّطه جيدا .. السماء تزداد احمرارا أكثر فأكثر .. انك لتحسب أنها مشتعلة .. لابد أن نصف المدينة يحترق .

الكوفى : لو كنت منك يا فلوثر ، لابتعدت عن هذه النافذة .. انها خطرة ، وبالاضافة الى ذلك فانهم ان رأوك ، فانك لن تجلب على المنزل الا المتطفلين .

بيتر : نعم ، وهو يعلم أننا اضطررنا لترك بيتنا لأنهم كانوا يمطرونه بوابل من نيران المدافع الرشاشة .. لسوف يستمر فى وضاعته حتى نضطر الى الفرار من هذا المكان أيضا .

فلوثر : (بسخرية) اذا قاموا بأى هجـــوم هنـــا ، فسنرسلك الى الخارج فى حلتك الخضراء التى تتباهى بها ، وأنت تلوح بسيفك فوق رأسك ، وســوف يفرون أمامك كما فر الدانماركيون أمام بريان بورو-!

الكوفى : (واضعا الورق على الأرض بعـد أن فنطه) تعال ، اقطع .

(يأتى فلوثر ويجلس على الأرض ، ويقطع الورق .

(الكوفى بعـد أن فرق الورق) البستونى يكسب مرة أخرى .

(نورا تئن بضعف فى الحجرة ناحية اليسار)

فلوثر : ها هى ، لقـد بدأت مرة أخرى .. لقد ظلت هادئة مدة طويلة ، على أية حال .

الكوفى : كانت هادئة من قبل ، بالتأكيد ، وانفجرت مرة أخرى أسوأ من ذى قبل .. ما هى الورقة التى قادت اللعب فى المرة الثانية ؟

بيتر : الثلاثة « الكوبة » .

فلوثر : انه لحظ سيء جدا أن تفكر فى طفلها الذى ولد

ميتا وهو يرقد هناك بين ذراعى مولسر الصغيرة المسكينة .. لقد ماتت مولسر فجأة أيضا ، على أى حال .

الكوفى : انها بالتأكيد لم تلق أى رعاية .. كيف تلقاها والأم تقضى النهار والليل بالخارج بحثا عن عمل ، وزوجها المسلول قد تركها بطفل ومات قبل أن يولد !

(أصوات فى ترنيم جذل ناحية اليسار فى شارع بعيد الصـ ... ليب الأحمر ، الصـ ... ليب الأحمر ... الاسعا .. ف ، الاسعا ... ف !) ..

الكوفى : (لفلوثر) .. دورك ، يا فلوثر .

فلوثر : (يفتح الورق ويوزعه) .. سوف تحتاج نورا لعلاج طويل اذا كانت ستعود الى حالتها الطبيعية .. فى يوم من الأيام .

الكوفى : الطبيب يعتقد أنها لن تعود أبدا الى حالتها الطبيعية ، يعتقد أنه سيصيبها مس هنا .. (يلمس جبهته) .. انها تهذى كثيرا معتقدة أنها قد خرجت الى الريف مع چاك ، أو أنها تعد له عشاءه قبل عودته الى البيت ، أو تصرخ منادية

طفلها ولكن ذلك قد يكون من أثر المخدر الذى أعطى لها .. لست أدرى ماذا كان بامكاننا أن نفعل لولا بيبى ، التى قضت معها الليـــالى الثلاث الماضية ، حتى أوشكت على الهلاك .

فلوثر : كنت دائما أعرف أنه لا يوجد خطأ مشين حقا فيما يتعلق ببيبى المســكينة .. (لبيتر الذى كسب لعبة) ايه ، على رسلك ، لا تكن سريعا بهذه الصورة اللعينة .. هذا ورقى .

بيتر : ماذا تعنى بورقك ، انه ورقى يا رجل .

فلوثر : (بصوت مرتفع) .. كيف يكون ورقك ؟

بيتر : (يرد بصـــوت مرتفع أيضا) . ألم أبدأ أنا بالاثنين (بالدوه) .

فلوثر : لابد وأنك قد عميت يا رجل ، ألا ترى الآس ؟

بيبى : (تظهر عند باب الحجرة ، الى اليسار ، فى همس متوتر) أتريدون ايقاظها لى ثانية ، وقد نامت لتوها ؟ اذا استيقظت فهل ستأتون وتعنوا بها ؟ اذا سمعت همسة من أحد منكم فسوف .. أخرج أحشاءكم !

الكوفى : (هامسا) س .. س ش .. انها تستطيع أن تسمع كل ما يعلو على الهمس .

بيتر : (يرفع بصره الى السقف) .. ان الله الرحمن العطوف سيحرقكما ويمزقكما يوما من هـذه الأيام !

(فلوثر يخرج زجاجة ويسكى من جيبه ، ويتناول جرعة) ...

الكوفى : (لفلوثر) لم لا تشرب بحساب يا رجل ، وتحاول أن تبقى رشفة للغد ؟

فلوثر : بحساب ؟ وأبقى رشفة للغد ؟ كيف بحق الجحيم يعرف المرء ان كان هناك غد ؟ ان كان لابد أن أموت فجأة فلأمت وهى فارغة وليس وهى نصف مملوءة !

(لبيسى ، التى جلست على كرسى عند المدفأة) كيف حالها الآن يا بيسى ؟

بيسى : لقد تركتها نائمة فى هدوء . عندما أصغى اليها وهى تهذى أعتقد أنها لن تصبح أبدا أحسن مما هى عليه . فى نظراتها شىء مخيف فعيناها لا تنظران الى الخارج كما لو كان عقلها قد تاه

فى ذكريات الماضى المختلطة .. (فى نعاس) تعتصر أفكارها .. معا ..(تهز رأسها وتجفل متيقظة) فى فكرة عنيفة .. متوهمة أن الأشياء الميتة حية والأشياء الحية ميتة .. (مجفلة) أهذا الذى سمعته صرخة أطلقتها ؟ (بعد أن تأكدت) يا لله ، يخيل الى أنى أسمع صراخا فى كل لحظة ! وهذا يحدث معى فقط لأنى أستطيع أن أبقى متيقظة .

الكونتى : سوف تنام ؛ ربما ؛ لمدة طويلة ، الآن . اليك عشرة .

فلوثر : وهذه عشرة . لو تنام فترة طويلة فقد تتحسن .. لدى بيتر الخمسة الوحيدة .

الكونتى : هشت ، أظن أنى أسمع شخصا يتحرك تحت ، مهما كان هو ، فانه سيصعد ..

(صمت . ثم يفتح الباب ؛ يدخل الحجرة الكابتن برينان . وقد أبدل زيه العسكرى ببدلة مدنية . عيناه مثقلتان بوطأة الارهاق ، ووجهه شاحب وممطوط . ملابسه متربة وملطخة بالوحل هنا وهناك . يستند بثقله على ظهر مقعد أثناء وقوفه .

الكابتن برينان: مسز كليثيرو ، أين مسز كليثيرو ؟ قيل لى : انى سأجدها هنا .

بيسى : ماذا تريد من مسز كليثيرو ؟

الكابتن برينان: معى رسالة .. آخر رسالة اليها من زوجها .

بيسى : قتل ! انه لم يقتل ، لا يمكن !

الكابتن برينان: (يغوص مشدودا ومتألما فى مقعد) . فى فندق الامبريال ، لقد ظللنا نقاتل حتى اشتعل المكان . أصابته رصاصة فى الذراع ، ثم فى الرئة .. لم أستطع أن أفعل شيئا من أجله .. سوى مراقبة تنفسه يتردد فى لهثات سريعة مرتجفة ، وخيط رفيع من الدم يسيل من فمه على شفته السفلى .. تلوت صلاة الميت ثم طويت مسبحته حول أصابعه .. ثم اضطررت أن أتركه لأنقذ نفسى .

(يشير الى بعض الثقوب فى معطفه) .. انظروا كيف مزق المدفع الرشاش معطفى وأنا أبتعد عن المبنى وأعدو عبر الشارع بحثا عن ملجأ .. ثم رأيت علم المحراث والنجوم يسقط كقذيفة عندما انهار السقف ، ولم يبق من المكان الذى

تركت فيه جاك المسكين سوى نافورة من اللهب المتطاير !

بيسى : (بحدة تحاول كبتها) اى ، لقد تركته ! طويت مسبحته حول أصابعه ثم عدوت كالأرنب لتنجو من الخطر !

الكابتن بريتان: لقد أخذت حظى كما أخذ حظه .. لقد لقى مصيره كرجل . كانت آخر همسة له هى قل لنورا أن تكون شجاعة . انى مستعد أن ألقى ربى ، وانى فخور لأن أموت فى سبيل ايرلندا .. وعندما سمع قائدنا ذلك .. قال « ان نهاية القومندان كليثيرو كانت ومضة مجد . لسوف ينقلب حزن مسز كليثيرو الى فرحة حين تدرك أنها كانت زوجة لبطل » .

بيسى : لو أنك فقط رأيتها لعرفت خلاف ذلك .

(تظهر نورا عند الباب ناحية الشمال . لا ترتدى سوى قميص نومها ، شعرها الذى أهملته منذ أيام يتناثر على كتفيها فى فوضى . يبرز شحوب وجهها نقطة حمراء زاهية على كل وجنة من وجنتيها . عيناه تلتمعان بوميض من كانت على وشك

الجنون ويداها تعبثان فى عصبية بقميص نومها . تتوقف عند الباب لحظة . تلقى نظرة فارغة فى أرجاء الحجرة . ثم تدخل فى بطء ، لا يلحظها الباقون حتى تتكلم) .

نورا : (فى نبرة هادئة ورتيبة) .. لا .. ليس هنا ، يا چاك .. أنا لا أستطيع أن أحس بالراحة الا فى مكاننا الخاص المألوف تحت شجرة العوسج .. لابد أننا مشينا وقتا طويلا ، أحس أنى متعبة جدا ، جدا .. أما زال علينا أن نسير أبعد من ذلك ، أم هل مررنا به ؟ (تمرر يدها أمام عينيها) ضباب غريب يغشى عينى .. لم لا تسك بيدى يا چاك .. لا ، لا ، يا چاك ليس ذلك .. ألا تستطيع أن ترى ، انه طائر الحسون . انظر الى جناحيه السوداوين الأملسين تخترقهما خطوط ذهبية ، والى البقع القرمزية فى رأسه .. (فى تعب) شىء ما يوجعنى ، شىء ما يوجعنى .. لا تقبلنى هكذا ، انك تكتم أنفاسى يا چاك .. لماذا تعبس فى وجهى ؟ .. انك ذاهب (بلهجة خائفة) .. ولا أستطيع أن أتبعك .. شىء ما

يمنعني عن الحركة .. (تصرخ) چاك ، چاك ، چاك !

بيسى : (التى مشت وأمسكت بذراع نورا) الآن يا مسز كليثيرو ، الآن ، انك امرأة فظيعة اذا نهضت من الفراش .. ستصابين بالبرد ان ظللت هنا فى هذه الثياب .

نورا : برد ؟ أشعر ببرد شديد ، ان الجو بارد هنا فى الريف .. (تنظر حولها خائفة) أى مكان هذا ؟ أين أنا ؟

بيسى : (بتدليل) أنت على ما يرام يا نورا ، أنت مع أصدقاء ، وفى مكان أمين ألا تعرفين عمك وابن عمك والمسكين فلوثر !

پيتر : (يهمّ بالذهاب الى نورا) نورا ، عزيزتى ، الآن ..

فلوثر : (يجذبه) .. الآن ، دعها لبيسى يا رجل . التجمهر لن يزيدها الا سوءا .

نورا : (مفكرة) .. هناك شىء أريد تذكره ولا أستطيع (فى عذاب) لا أستطيع ، لا أستطيع ؛ لا أستطيع ! رأسى ؛ رأسى ! (فجأة تنفلت من

بيسى وتجرى نحو الرجال وتمسك فلوثر من كتفيه) أين هو ؟ أين هو ؟ أين طفلى ؟ قل لى أين وضعته ، أين خبأته ؟ طفلى ، طفلى ، أريد طفـــلى ! رأسى ، رأسى المســكينة .. أوه ، لا أستطيع أن أعــرف ما الذى بى (صارخة) أعطنيه ، أعطنى زوجى !

بيسى : رحمتك بنا يا رب ، أليس هذا مثيرا للرثاء !

نورا : (تقاوم بيسى) .. لن أذهب وأتركك ، لن أذهب حتى تردى الى زوجى .. (صارخة) قتلة ، ذلك هو أنتم ، قتلة ، قتلة !

بيسى : سسيش . سنعيد اليــك مستر كليثيرو لو أنك فقط رقدت ولزمت الهــدوء .. (تحاول أن تدخلها) تعالى ، هيا ، يا نورا ، وسوف أغنى لك أغنية .

نورا : أحس كما لو أن حياتى تحاول أن تشق طريقها للخروج من جسدى.. لا أكاد أستطيع التنفس.. انى خائفة ، انى خائفة ، انى خائفة ! بربك ، لا تتركينى يا بيسى . أمســكى يدى ، ضعى ذراعيك حولى !

فلوثر : (لبرينان) الآن يمكنك أن ترى ما هى فيه ، يا رجل .

پيتر : وكيف يكون حالها اذا سمعت أن چـاك قد مات ؟

الكوفى : (لپيتر) اخرس أنت يا رجل !

بيسى : (لنورا) يجب أن نكون شجعانا ، وندع الصبر يقطع ثقل الساعات البطيئة الحركة ، متذكرين أن الأسى قد يستمر ليلا ، لكن الفرح يأتى فى الصـــباح .. تعالى ندخل ، وسأغنى لك ، وسترتاحين فى هدوء .

نورا : (تتوقف فجأة وهى فى طريقها الى الحجرة) أنا وچاك سوف نخرج الى مكان ما هذا المساء . أما الى أين فهذا ما لا أعرفه .. أليس غريبـا أنى لا أســتطيع أن أتذكر .. مورا ، مورا ، چاك ، ان كان المولود بنتا ، فأى اسم تحب ، وان كان المولود ولدا ! .. انه هناك (صارخة) انه هناك ، وهم يريدون أن يردوه الىّ !

بيسى : صـ .. صـ .. ش ، يا حبيبتى ، صـ .. صـ .: ش .. لن أغنى لك اذا لم تلزمى الهدوء .

نورا : (تمسك بيسى فى عصبية) امسكى يدى ، امسكى يدى ، وغنى لى ، غنى لى !

بيسى : ادخلى وارقدى ، وسأغنى لك .

نورا : (بحدة) غنى لى ، غنى لى ، غنى ، غنى !

بيسى : (تغنى وهى تقود نورا الى داخل الحجرة) :

أرشدنى أيها النور العطوف ، وسط الظلمة المكتنفة .

قدنى فى طريقى

الليل ظلام ، وأنا بعيدة عن بيتى

قدنى فى طريقى

ثبِّت خطاى ،

لا أطلب أن أرى المشهد البعيد — خطوة واحدة حسبى .

ما دمت قد باركتنى ، فلا شك أنك ستظل تقودنى فى طريقى .

(تدخلان) .

بيسى : (تغنى فى الحجرة) :

عبر البرارى والآجام ، فوق الصخرة الشامخة ، والسيل الجارف ، حتى ينقضى الليل .

وفى الصباح تبتسم هذه الوجوه الملائكية
التى أحببتها طويلا . وفقدتها حينا !

الكونتى : (لبرينان) الآن وقد رأيت مدى سوء حالها ، وانتـــا لا نجرؤ أن نخبرها بما حـــدث حتى تتحسن ، فالأفضـــل أن تنسل عائدا من حيث أتيت .

الكابتن برينان: ليست هناك فرصة الآن لأن أنسل عائدا ، لأن الجنود فى كل مكان : الذبابة لا تستطيع أن تنفذ . ما كان فى استطاعتى أن أصل الى هنا ، لولا أنى عملت على ابدال ملابسى بتلك التى ألبسها .. على أن أغتنم الفرصة ، وأستتر هنا ، وأحاول أن أختبىء هنا بعض الوقت .

الكونتى : (خائفا) لا يوجد هنا مكان للاختباء .. الجنود الانجليز سيدخلون هنا فى أية لحظة !

بيتر : (مرعوبا) وعندئذ سنقع جميعا فى مأزق !

الكونتى : يا الهى ، كفانا ما نحن فيه من أحداث !

فلوثر : (محذرا وهو يصغى) هشت ، هشت ، كلكم . أحسب أنى سمعت رنين كعب بندقية على أرضية

الصالة التى تحتنا .. (الجميع ينتبهون) هيا ، لنستأنف اللعب ؛ سأوزع أنا ..

(يفتط الورق ويوزعه على الجميع) .

فلوثر : السباتى هو الذى يكسب . (لبرينان) حاول أن تمنع ارتجاف يديك ، يا رجل .. لتبدأ أنت يا پيتر (بينما پيتر يلقى بورقة) .. الأربعة الكوبة هى التى بدأت ..

(يفتح الباب ويدخل العريف ستودارت من فرقة ويلتشايرز مزودا بكل معدات القتال ، خوذة من الصلب ، وبندقية وسونكى ، وعدة الخندق . ينظر فى أرجاء الحجرة . صمت وسكوت ملبوس .

فلوثر : (يقطع السكوت) عشرتان وخمسة .

العريف ستودارت: هاللو (مشيرا الى النعش) أهذا هو الميت ؟

الكوفى : نعم .

العريف ستودارت: من سيذهب معه ؟ شخص واحد فقط مسموح له بمرافقته كما تعرفون .

الكوفى : أنا لا أعرف .

العريف ستودارت: أنت لا تعرف ؟

الكوفى : أنا لا أعرف .

حاصرناهم ، ونحن الآن نضيق الخناق على الملاعين ، أوه ، لم يكن الأمر يتعدى مناوشات .

(يسمع أزيز حـــاد لطلقة من بندقيـــة القناصين تتبعها صيحة ألم) .

أصوات ناحية الشـــمال : (مترنمة) .. الصـ .. ليب الأحمر ، الصـ .. ليب الأحمر ! الاسعا .. ف ، الاسعا .. ف !

العريف ستودارت: (فى انفعال) أيها المسيح .. ذلك رجل آخـر من رجالنا أصـابه ذلك القناص اللعين ! انه يتجول هنا فى مكان ما . يا الله ، عندما نمسك بالملعون ، فسوف نضربه بالسيوف ، أجـل سـوف نفعل ذلك . سـوف نلكز بطنه حتى نخرجها ، سنفعل ذلك !

(تدخل مسز جوجان دامعة العينين ، وفخورة بعض الشىء للأهمية التى يضفيها عليها الموت !)

مسز جوجان: (لفلوثر) لن أنسى أبدا ما فعلته من أجلى ، يا فلوثر ، بتجولك مخاطرا فى ذلك بحيـاتك لتسوية كل شىء مع الحانوتى والمشرفين على المدافن .. وبينما كان كل أهـلى يخافون أن

يخرجوا أنوفهم جازفت أنت ، أيهـا الشخص الطيب ، خـلال أزيز الرصاص وهم يطلقون النـار من الطريق ، فترن مختـرقة النوافذ الخائفة ، فتتكسّر الى شظايا على الحوائط ! وسوف تجد أن مولسر ، فى المكان السعيد الذى ذهبت فتتكسر الى شظايا عـلى الحوائط ! وسوف تجد أن مولسر ، فى المكان السعيد الذى ذهبت اليـه ، لن تنسى أن تهمس ، بين الحين والآخر باسم فلوثر .

التعريف ستودارت: اخرجيها ، يا أم ، اخرجيها .

بيسى : (من مقعدها) سوف تعذرينني يا مسز جوجان ، لعـدم وقوفى اذ ترين أن قدمىّ لا تستطيعان حملى بسبب حاجتى الى قليل من النوم . انى لا أقصد أن أظهر عدم احترام لمولسر الصغيرة المسكينة .

فلوثر : بالتأكيد ، نحن جميعا نعـلم ، يا بيسى ، أن العكس صحيح بالنسبة لك .

مسز جوجان: (لبيسى) فى الواقع ، أنى أنا نفسى قد سجلت جيدا ، يا مسز بيرجس ، كل المرات الطيبة التى هرعت فيها لمعونة صغيرتى مولسر ، عنـدما

فلوثر : (بعد صمت محرج) ان الهواء فى الشارع بالخارج يرتج بطلقات البنادق والمدافع الرشاشة .. لابد وأن هذه لحظة خطيرة فى القتال .

الفريف ستودارت: اننا نمطرهم بوابل من الرصاص من كل مكان الآن ، ولن يلبثوا أن يرفعوا الراية البيضاء .

بيتر : (بصيحة) أقول لكما . ان واحدا منكما أيها القذرون يستطيع أن يقوم بحمل النعش خيرا من بيتر ، أتسخران منى ، وتلكزاننى وأنا أساعد فى حمل جثة !

فلوثر : لم يكن أمرا مشينا جدا أن يقول الكوفى انك تستطيع أن تكون حامل نعوش أنيق ، أم أن هذا غير صحيح .. ؟

بيتر : (فى ثورة) زوج من التافهين الحاقدين .. يفكران من الصباح حتى المساء فى فرصة لخلخلة طبيعة رجل هادىء يحاول دائما أن يطرد من نفسه أية فكرة شاردة تتضمن حقدا على أخيه الانسان !

الكوفى : أوه ، أغلق فمك ، أغلقه ، أغلقه !

بيتر : طالما أنا رجل حى مسـئول عن أفكارى ؛ وكلماتى ، وأعمالى أمام الكائن الأعـلى ، فسأشعر بأنى ملزم بأن أحارب ضد الأساليب المنحـدرة لزوج من الأفاقين ، يتهامسـان ، ويتلاقيان ، ويدبران ، ويكيدان معا ليجعلانى أفقد احساسى بالحياة التى أحاول أن أحياها !

العريف ستودارت: (مندهشا) .. ما هى المشكلة أيها الوالد ، ماذا فعلا لك ؟

بيتر : (للعريف بعنف) .. اهتم بشئونك الخاصـة ! ما شأنك أنت بمشكلتى ؟

بيسى : (فى همهمة نعسانة) .. هل حاولتم أن تلتزموا الهدوء ؟ انكم ستوقظونها .. لى .. مـرة .. أخرى .

(تنـام)

فلوثر : هيا ، يا أولاد ، لنستأنف اللعب ، ولا تلقوا بالا اليه .

العريف ستودارت: لا فائدة من أن تستأنفوا اللعب ، فسـوف تخرجون من هنا بمجرد حضور الجاويش .

فلوثر : نخرج من هنا ؟ ولماذا سنخرج من هنا ؟

الجاويش تتلى : (للعريف) هل هؤلاء الأربعة كل من هنا ؟

العريف ستودارت: أربعة ، هذا كل من هنا ، يا جاويش .

الجاويش تتلى : (فى نبرة انتقام) هيا اذن ، أخرج الملاعين .
(للرجال) هيا ، انطلقوا الى الخارج ! أخرجوا الى الشارع ، فاذا ما قتل أحد القناصة رجلا آخر من رجالنا فسوف تقتلون معه !
(يمسك فلوثر من كتفه) هيا ، اخرج !

فلوثر : هه ، من تظن أنك تدفع ، هه ؟

الجاويش تتلى : (بغلظة) .. هيا ، اخرج أيها اللعين .

فلوثر : من ذا الذى تصفه باللعين هه ؟ أنا رجل من دبلن ، ولدت وتربيت فى المدينة ، أتفهم ؟

الجاويش تتلى : لا يهمنى لو كنت بريان بورو نفسه ، اخرج ، اخرج .

فلوثر : (يتوقف أثناء خروجه) .. يا يسوع .. أنتم وبنادقكم ! اتركا بنادقكم وسوف أضربكما أنتما الاثنين بدون أى مشقة !

بيتر وبرينان والكوفى وفلوثر ، يخرجون يتبعهم الجنديان . بيسى غارقة فى النوم على الكرسى بجوار المدفأة . بعد لحظة صمت ، تظهر نورا عند الباب ، ناحية

الشمال ، فى قميص نومها .. تبقى عند الباب بضع لحظات تنظر فى ارجاء الحجرة، نظرات مبهمة ثم تدخل فى هدوء ، وتتجه الى المدفأة وتقلب النار وتضع فوقهـــا الابريق . تفكر لبضع لحظات وقد ضغطت يدها على جبهتها .. تنظر متســائلة الى النــار ، ثم الى الخـــزانة فى الخلف .. تذهب الى الخـــزانة وتفتحهـــــا وتخــرج مفرشــا متسخا وتنشره على المنضدة ثم تضــع أدوات الشاى عليها).

نورا : يخيل الى أن الحجرة تبدو فى غاية الغرابة على نحو ما .. كدت أن أنسى شاى چاك .. آه ، أظن أنى سأنتهى من عمل كل شىء قبل أن يعود .. (تترنم بصوت خفيض وهى تعد المائدة) :

أزهار البنفسج كانت تعطر الغابة ، يا نورا ،

معلنة عن سحرها للنحلة ..

عندما قلت أول مرة أنا أحبك أنت وحدك يا نورا

وقلت انت انك تحبيننى أنا وحدى !

أزهار الكستناء تألقت خلال فرجات الشــجر

يا نورا ،

وهزار صدح عاليا فوق شجرة ،

بيسى : هش .. س .. ش ، نورا ، نورا ! سيكون هنا بعد دقيقة . سأحضره لك اذا أنت فقط التزمت الهدوء .. أشهد الله أنى سأفعل ..

(تدفع بيسى نورا بعيدا عن النافذة بجهد كبير ، وتدفعها القوة التى بذلتها الى أن تستند مترنحة على النافذة . تذوى طلقتا بندقية فى تتابع سريع . يهتز جسد بيسى بتقلص ، وتقف متصلبة لحظة ، وفى وجهها نظرة دهشة معذبة ، ثم تترنح الى الأمام ، مستندة على المنضدة بيديها) .

بيسى : (بصرخة مكبوتة من الخوف والألم) أيها الاله الرحيم ، لقد أصبت ، لقد أصبت ، لقد أصبت ! .. الحياة تنساب خارجة منى ! (لنورا) لقد نالنى ذلك بسبب .. بسببك .. بسببك ، يا عاهرة ، أنت .. يا رب ارحمنى ! .. (لنورا) لن تقفى ساكنة ، لا ، لن تفعلى ، لن تفعلى ، اللعنة عليك ! انظرى الى ما أصابنى .. انى أنزف حتى الموت ، وليس من أحد هنا ليوقف الدم المتدفق ! (منادية) مسز جوجان ،

مسز جوجان ! فلوثر ، فلوثر ، ناشدتكم الله ، شخص ما ، طبيب ، طبيب !

(تترنح مذعورة ناحية الباب ، للبحث عن عون ، ولكنها تقع على ركبتيها ، وقد أصابها الوهن فى منتصف الطريق عبر الحجرة ، تنحنى الى الأمام وتسند نفسها بيديها على الأرض ، نورا تقف متصلبة وظهرها الى الحائط المقابل ، ويداها المرتعدتان مبتعدتان قليلا عن جانبى جسدها ، وشفتاها ترتجفان ، وصدرها يعلو ويهبط ، تحدق بوحشية فى جسد بيسى) .

نورا : (فى همس لاهث) چاك ، أنا خائفة .. أنا خائفة يا چاك .. أوه ، چاك ، أين أنت ؟

بيسى : (متوجعة) هذا ما نلته نظير رعايتى لك نهارا وليلا .. لقد كنت حمقاء ، حمقاء ، حمقاء ! أحضرى لى جرعة ماء أيتها الشريرة ، هل ستفعلين ؟ ان نارا تشب فى دمى ! (متوسلة) نورا ، نورا ، عزيزتى ، ناشدتك الله ، اجرى واحضرى مسز جوجان ، أو فلوثر ، أو شخصا ما ليأتى بطبيب ؛ أسرعى ، أسرعى ، أسرعى !

نورا : (صـــارخة) أخفوها ، أخفوها ، لا تدعونى أراها ! خذينى بعيدا ، خذينى بعيدا ، يا مسز جوجان !

(تعدو مسز جوجان الى الحجرة ، ناحية اليسار وتندفع منها مرة أخرى بملاءة تنشرها فوق جسد بيسى) .

مسز جوجان: (وهى تنشر الملاءة) أوه ، ليكن الله فى عونها ، المرأة المسكينة ، انهـــا تتصلب على قـــدر ما تستطيع ! مكتوب على وجهها صدمة العذاب المفاجىء ، ويداها استحال لونهمـــا الى بياض الشمع الناعم اللامع ..

نورا : (فى نشيج) خذينى من هنا ، خذينى من هنا ، لا تتركينى هنا لأنظر ، وأنظر اليها !

مسز جوجان: (تسير الى نورا وتضع ذراعها حولها) .. تعالى معى ، يا عزيزتى ، وبوسعك أن تنامى فى فراش مولسر المسكينة حتى تجمع بعض الجـــيران ليساعدوا فى الترتيبات الأخيرة لاعداد جثمان بيسى للدفن الموحش .

(مسز جوجان ونورا تخرجان فى بطء) .

العريف ستودارت: (الذى كان ينظر حوله ، للجاويش تنلى) شاى هنا ، يا جاويش ما رأيك فى قدح ساخن .

الجاويش تنلى : صبه ، يا ستودارت ، صبه . أيستطيع أن أسخر من أى شيء الآن .

(العريف ستودارت يصب قدحين من الشاى ويأخذ الجنديان فى الشراب . يسمع على البعد طلقات حادة من بندقية ومدفع رشاش ، يتخللها صوت دوى المدفعية . الومض الذى يرى فى السماء من خلال النافذة يسطع فى حجم أكثر اكتمالا وعمقا) .

الجاويش تنلى : ها هو الهجوم العام على مكتب البوستة .

أصوات تغنى فى شارع بعيد : الاسعا .. ف ، الاسعا .. ف !

الصـ .. ليب الأحمر ، الصـ .. ليب الأحمر !

(تسمع أصوات الجنود عند المتراس خارج المنزل وهم يغنون) :

لقد استدعوهم من التلال ،

لقد نادوهم من الوديان ،

ووجدهم الوطن على استعداد

عندما هتف الداعى بالرجال

لا تدع الدموع تزيد من عناء الجند

وهم يمرون ،
ورغم أن قلبنا يكاد ينفطر ،
فاجعله يغنى هذه الأغنية البهيجة .

(الجاويش تتلى والعريف ستورات ينضمان
الى الكورس وهما يحتسيان الشاى)

أبقوا مدافىء البيوت مشتعلة ،
بينما قلوبكم تهفو
ولو أن فتيانكم بعيدون
فانهم يحلمون بالوطن ،
هنالك بطانة فضية
تلتمع خلال السحاب المظلم ،
اقلبوا السحاب المظلم
حتى يعود الفتيان الى البيت !

ستار

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٦٦ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	الشقيقات الثلاث	أنطون تشيكوف
٢	أعمدة المجتمع	هنريك ابسن
٣	سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	مروحة ليدى وندمير	أوسكار وايلد
٥	بنيلـــوبى	سومرست موم
٦	الغـــربان	هنرى بك
٧	اليـــكترا	جان جيرودو
٨	توركاريـه	ر . توساج
٩	البـــدائرة	سومرست موم
١٠	شاترتون	الفرد ديفينى
١١	الأم	كارل تشابك
١٢	اللعبة القادرة	جون جالزوردى
١٣	لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو
١٥	عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز
١٦	عزيزى برونس	ج . م . بارى

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٧	رجل الله	جابرييل مارسل
١٨	هيدا جابلر	هنريك ابسن
١٩	سباق المشاعل	بول هارفييه
٢٠	كنـــوك	جول رومان
٢١	جـــونو والطاووس	شيين أوكاسى
٢٢	دون جوان	موليير
٢٣	بيت برناردا البـــا	فدريكو غرسيه لوركا
٢٤	القرد الكثيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥	مأســاة الدكتور فوستس ...	كريستوفر مارلو
٢٦	الأستاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧	ثورة المـــوتى	اروين شو
٢٨	ماتعرفه كل امرأة	أوسكار وايلد
٢٩	أهمية أن يكون الانسان جادا	چيمس بارى
٣٠	دائرة الطباشير القوقازية ...	برتولت برشت
٣١	منزل القلوب المحطمة	چورچ برناردشو
٣٢	القيثارة الحـديدية	جوزيف أوكونور
٣٣	أفكار صبيانية	نويل كوارد
٣٤	زوجة مستر تانكرى الثانية ...	آرثر وينج بنيرو
٣٥	عنـدما نبعث نحن الموتى ...	هنريك ابسن
٣٦	لا وقت للفكاهة	س ٠ ن ٠ بيرمان
٣٧	سيجفريد	چان چيرودو
٣٨	علماء الطبيعة	فريدرش دورنمات

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٣٩	رغبة تحت شجر الدردار	يوجين أونيل
٤٠	حورية البحر	هنريك ابسن
٤١	جزاء خدماتهم	سومرست موم
٤٢	ايولف الصغير	هنريك ابسن
٤٣	بلياس وميليزاند	موريس ماترلنك
٤٤	الاله الكبير براون	يوجين اونيل
٤٥	حاملة المصباح	رجنالد بركلي
٤٦	آل باريت	رودلف بيزييه
٤٧	الزفاف الدامي	فدريكو جرثنا لوركا
٤٨	الخاطبة	ثورنتن ويلدر
٤٩	اعرف نفسك	بول هرفيو
٥٠	القصى	ترنتيوس أفير
٥١	فترة التوافق	تنيسي وليامز
٥٢	بيرجينت	چون جلزورذى
٥٣	الابن الأكبر	چون جلزورذى
٥٤	زيارة السيدة العجوز	فريدريش دورينمات
٥٥	ديدرى فتاة الأحزان	چون ميلنجتون سينج
٥٦	المسافر بلا متاع	چان انوى
٥٧	الحالة	المر رايس
٥٨	كلهم أولادى	آرثر ميلر
٥٩	أوندين	جونهولد افرايم لسينج
٦٠	ميناڤون بارنهلم	جان جيرودو

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٦١	معطف الفراء	جرهارت هاوپتمان
٦٢	كرنفال الأشباح	موريس دوكوبرا
٦٣	«هو» الذى يصفع	ليونيد أندرييف
٦٤	فتى الغرب المدلل	جون ملنجتون سينج
٦٥	قواعد المبارزة	لويجى بيراندياللو
٦٦	عرفوا ما يريدون	سدنى هوارد

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج : **مكتبة الخانجى بالقاهرة**
وتطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »
ومن مكتبة المثنى ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت

الدار القومية (مصر)